من السمات العامة للخلافة العباسية في العصر العباسي الأول ١٣٢هـ - ٢٣٢هـ

د٠ عبد الحسين علي أحمد
مدرس التاريخ الإسلامي - جامعة قطر

السمة كلمة تعني في علم الحياة صفة جسمية أو فيزيقية تورث كوحدة ، وفي علم النفس تعني نمطا سلوكياً مستقراً في الشخصية ، وفي علم الانثروبولوجيا تعني وحدة ثقافية مادية كانت ، وغير مادية ، قادرة على الإنتشار بذاتها في المجتمعات المختلفة وفي علم الاجتماع تعني جزءا مستقلا من نمط اجتماعي عام ، سواء كان هذا النمط فرديا أو جماعياً[١] .

فالثقافة عبارة عن مجموعة من السمات يرتبط بعضها ببعض ، والباحث في التاريخ عند استقرائه لاحداث دولة بعينها يرى أن لها سمات تميزها عن غيرها ، وتختلف باختلاف عصورها . هذا ما نجده أيضاً في الدول العربية الإسلامية ، فعصر الخلافة الراشدة متميز بالعدل والمساواة والشورى في انتخاب الخليفة ، في حين تتسم تلك الدولة في ظل الخلافة الأموية بالحكم الفردي الوراثي ، والاعتماد على العنصر العربي ، فتباينت طبقات المجتمع وتصارعت القوى القبلية بسبب انحياز بعض خلفاء بني أمية تارة لليمنية وأخرى للقيسية، مما أسهم في اضمحلال دولة بني أمية ، وأفسح المجال أمام بني العباس للوصول إلى الخلافة وحينئذ برزت سمات مختلفة عن العهد السابق .

اعتبر المؤرخون العصر العباسي الأول أزهى عصور الدولة الإسلامية ، فخلفاؤهم قد استفادوا من تجارب العهدين السابقين ، وكيّفوا حكمهم للأمة الإسلامية بما يرضي أكثر الطبقات الاجتماعية ، بما في ذلك المثقفين وفقهاء الدين من أهل السنة والجماعة فنتج عن هذا قناعة عامة بأحقيتهم في الحكم ، فاستمرت هذه الدولة قائمة حتى عام ٦٥٦هـ لتنتهي بسقوط بغداد على أيدي المغول . ومن أبرز سمات الخلافة العباسية في هذا العصر الذهبي السمات التالية :

أولاً . السمة الدينية :

كان بنو العباس منذ وفاة الرسول ﷺ يؤيدون العلويين في المطالبة بحقهم في الخلافة دون أن يدّعوا حقا لهم في هذا السبيل حتى بعد مقتل الإمام الحسين بن علي ، في حين لم يروا أية غضاضة في مسالمة بني أمية مما عاد عليهم بالنفع الوفير ، إذ اقطع عبد الملك بن مروان محمد بن علي بن عباس قطعة أرض في الحميمة ليسكنها مع أسرته. كما أطمأن بنو أمية لبني العباس حتى بلغ الأمر بالوليد بن عبد الملك أن نفي اتهاما كان قد روج له خالد بن يزيد ابن معاوية في شأن معارضة بني العباس لدولته قائلا: " ما بلغنا أن أولئك تحركوا في شيء من هذا الأمر ولا دابوا فيه "[٢] .

وهكذا لم يظن الأمويون سوءا في بني العباس في حين تتبعوا تحركات العلويين ، وأدرك كل من الوليد وسليمان خطورة عبد الله بن محمد بن الحنفية ، حتى بلغ الأمر بهذا الأخير أن كلف شخصا بدس السم له أثناء عودته للحجاز . ولما شعر بدنو أجله لم يجد ملاذا إلا الحميمة وخاصة أن العلاقة بين بني هاشم انطوت على الود فكشف لمحمد بن علي بن عبد الله بن عباس أسرار دعوته السرية وكأنه تنازل عن حقهم في الخلافة لهم من جهة ، ومن أخرى لم يكن له عقب يتولى مناهضة بني أمية ويطالب بالخلافة ، ولكي يطمئن على تنظيمه كلف أحد اتباعه وهو أبو رياح ميسرة بأن يكون عوناً لمحمد في نقل الدعوة للعباسيين[٣] .

واللافت للنظر ان انتقال الدعوة للبيت العباسي قد اصطبغت رواياتها بالطابع الديني، وهذا حال الحركات السياسية في المجتمعات المسلمة فقد روي المؤرخون بعض الروايات الغيبية، فالرواية الأولى تشير بأن أبا هاشم كان يبلغ شيعته من أهل خراسان والعراق عند ترددهم إليه بأن عليهم بعد وفاته أن يقصدوا محمداً بن علي وأبناءه[٤] ، وكأنه مدرك بدنو أجله .

ورواية أخرى تشير بأن أبا هاشم قد زعم أنه علم عن جده الخليفة الرابع بأن الخلافة سوف تؤول إلى بني العباس فهو قد ورث كتابا أصفرا كتبه الإمام علي بن أبي طالب يبين فيه اعتلاء بني العباس خلافة المسلمين ، وحدد موعد ثورتهم ومكانها وعلامات خروجهم، ومن سوف ينصرهم من العرب ، وذكر أسماء نقبائهم ودعاتهم وصفات أتباعهم[٥] .

مهما يكن فإن هذه الروايات تتمشى مع ميل بني العباس في إثبات حقهم في الخلافة، بل يمكن القول أن ما روي عن الإمام علي اتخذه بنو العباس سلاحا لتأكيد شرعية خلافتهم ، فهذه وسيلة من الوسائل المتبعة في عصرهم لإثبات شرعية خلافتهم ، كقضية السفياني المنتظر عند بني أمية والمهدي المنتظر عند العلويين والعباسيين .

إن مثل هذه الروايات قد أقبل عليها بنو العباس لما لها من أهمية في إقناع العامة بدليل استخدامهم لأحاديث منسوبة إلى الرسول ﷺ تبشر بخلافتهم [٦] ، وليس من المستغرب أيضاً أن نرى بعض الشيعة يأتون بروايات مفادها تنازل العلويين عن الخلافة أو حق العباسيين في الحكم ، ولعلهم إنما ذكروا ذلك رغبة منهم في إعلان تأكيد الخلافة في بيت علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) من أبناء فاطمة بنت رسول الله ﷺ دون سائر العلويين ، ويعني أن تنازل أبي هاشم عن الإمامة والخلافة لمحمد بن العباس غير معترف به لأن الخلافة ليست من حقه وإن الطالبيين لم يعترفوا بإمامته وكان علي زين العابدين بعد مقتل الإمام الحسين بن علي زعيماً للعلويين .

دعا العباسيون باديء ذي بدء إلى الرضا من آل محمد دون أن يظهروا رغبتهم في الخلافة أملاً في الحصول على مكاسب سياسية ، ومن جانب آخر كان هذا الشعار من ضرورات الدعوة الهاشمية لسلامة الإمام من بني أمية ، ومن أجل ذلك حالوا دون أن يصطدم نقباؤهم بالشيعة حول قضية الخلافة [٧] ، حتى لا يكتشف أمرهم لهؤلاء وغيرهم بل كان جل همهم إظهار سلبيات الحكم الأموي ، ومن جانب آخر نهى محمد بن علي نقباءه وشيعته عن مساندة الثائرين من العلويين موضحاً لهم بأن الله لم يكتب لهم النجاح وأن خارجهم مقتول ، وقائمهم مخذول وليس لهم في الأمر نصيب [٨] . وما إن اكتملت حلقات الدعوة السرية في خراسان بجهود سليمان بن كثير ومن ثم أبي مسلم الخراساني عول بنو العباس على إظهار السمة الدينية عمليا ، فاتخذوا السواد شعاراً لما له دلالة فيما مضى من عهود فقد ورد أن لباس النبي داود السواد ، وللرسول راية سوداء وكذلك الإمام علي بن أبي طالب ، لذا بعث إبراهيم الإمام أبا سلمة الخلال إلى خراسان حاملاً راياته الثلاث إلى دعاته في مرو وجرجان وما وراء النهر [٩] . وقد كتب على راية أهل خراسان الآية المباركة ﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير﴾ [١٠] .

ويذكر الطبري أن إبراهيم الإمام بث برايتين ، أولاهما تعرف بالظل ، وثانيهما بالسحاب ولكل من التسميتين تأويل عند بني العباس ، فالسحاب إشارة إلى ما لدعوتهم من مكانة عالية، في حين كانت نظرتهم إلى ديمومة الخلافة العباسية كالظل الذي لا تخلو منه الأرض أبداً[١١١] .

ومع هذا لم يكن هناك أية إشارة بأن الدعوة لبني العباس حتى مع اندلاع الثورة عسكرياً في فجر عيد الفطر عام ١٢٩هـ فقد صلى سليمان بن كثير الخزاعي صلاة العيد فقرأ في صلاته الآية الكريمة ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾[١١٢] . فأعلنوا للأمة الإسلامية القاطنة في خراسان عربا وعجما بأنهم متساوون في الحقوق والواجبات ، فلا اعتماد على عصبية عرقية عازمين على إنصاف الضعيف بعد أن ينصرهم الله[١١٣] .

لم يجهر العباسيون بدعوتهم حتى مع اندلاع الثورة عسكريا إلا لخلصائهم وأحاطوا أنفسهم بالقدسية فكل حادث قد ربطوه بحديث للرسول ﷺ واردفوه بأن الخلافة باقية فيهم وإن زوال خلافتهم بداية اضطراب الدنيا . هذا وضحه محمد بن علي لأبي عكرمة السراح حين بعثه إلى خراسان[١١٤] ، ونجح عكرمة في جذب الانصار وحمل خمس أموالهم لمحمد بن علي باعتباره خليفة للرسول ﷺ الذي سوف يحكم وفق كتاب الله وسنة نبيه دون أن يدركوا شخصية الإمام[١١٥] ، وعلى هذا تابع بقية نقباء بني العباس ومن بينهم أبو مسلم الخراساني وقحطبة بن شبيب الطائي القائد العباسي بأخذ البيعة من أهالي القرى والمدن على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ والخلافة للرضا من آل محمد أو الحرب[١١٦] .

بذلك أشاعوا السمة الدينية لدولتهم القائمة على العدل مع حصرهم الخلافة في بني هاشم دون سائر قريش ، ولم يشيعوا شخصية الإمام إلا بين نقبائهم الأثنى عشر[١١٧] ، وأقبل الكثير على البيعة دون معرفة المرشح للخلافة ، وتردد البعض في ولائه للعباسيين فيما بعد[١١٨] . وباعتلاء أبي العباس منبر الكوفة عام ١٣٢هـ ، أوضح للمسلمين مدى تمسكه بسنة الرسول ﷺ فقد خطب قائما ، وكانت بنو أمية تخطب قعودا فضج الناس وقالوا : أحييت السنة يا ابن عم رسول الله[١١٩] .

وفي هذه الخطبة الافتتاحية[٢٠] ، وضع أبو العباس النقاط على الحروف فأبرز السمة الدينية ومنها : أن الله قد اختارهم من بين العالمين ليكونوا مهد النبوة ، وحملة الدين ، وأهل العدل والتقوي ، وجعلهم حصنه المتين الذائدين عنه ، والناصرين له ، وأكد على إحياء السنة وإعادة العدل بعد جور بني أمية ، وأنهم أحق بالخلافة من غيرهم لقرابتهم للرسول ﷺ مستندا على الآية الكريمة في قوله تعالى : ﴿ قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى ﴾[٢١] . فكانت هذه الآية الكريمة عنوان الحق الشرعي لخلافتهم ، بعد أن فرض الله على المسلمين بأن يرث رسوله أقرباؤه[٢٢] .

ومن اللافت للنظر أن أبا العباس في خطبته الافتتاحية لم يعلن عن الخلافة العباسية الأمر الذي يبدو أنه من آثار ما انطوت عليه حالته المضطربة ومرضه الذي ألم به يوم البيعة بدليل أن عمه داود بن علي سرعان ما أعقبه بالإعلان عنها بقوله " ولكم ذمة الله وذمة رسوله وذمة العباس إن نحكم فيكم بما أنزل الله ونعمل بكتاب الله . . . " بل أكد على بقاء الخلافة في بني العباس حتى قيام الساعة ، فقد أعلن على الملأ ما كان يروجه محمد بن علي وابنه إبراهيم الإمام بأزلية الخلافة العباسية[٢٣] .

وظلت الخلافة العباسية على هذا النحو مقبولة حتى أدخل عليها الخليفة أبو جعفر المنصور (١٣٦هـ - ١٥٨هـ) طفرة جديدة نحو السمة الدينية فقد جعل الخلافة العباسية سلطة مقدسة مستمدة من الله تعالى لا يحق لأحد الاعتراض على أمر من أفعاله ، عبر عن ذلك في خطبته بمكة ومما قاله : " أيها الناس إنما أنا سلطان الله في أرضه أسوسكم بتوفيقه وتسديده وتأييده ، وحارسه على ماله أعمل فيه بمشيئته وإرادته وأعطيه بأذنه . . . . "[٢٤] .

والمتتبع لخطب خلفاء بني العباس في عصرهم الذهبي يجد أن جل عباراتهم تدل على قدسية خلافتهم ، إلى جانب تهديد الخارجين وترغيب المؤيدين لدولتهم[٢٥] ، بل وأخذوا يؤكدون على مظاهر تدعم مكانتهم الدينية فصارت بردة النبي ﷺ[٢٦] ، الشارة الأولى للخلافة ، يرتديها الخليفة في المناسبات العامة كصلاة العيدين والجمعة وأول من اتخذ ذلك أبو العباس السفاح وقد اشتراها بأربعمائة دينار[٢٧] ، وحين قتل الأمين بعث برأسه مع الخاتم والبردة والقضيب إلى المأمون[٢٨] ، كإشارة بانتقال الخلافة إليه ، في حين لم يظهر بنو أمية اهتماما بالظهور بها في المناسبات بحسب ما توضحه الروايات التاريخية ، بل

كانوا يحتفظون بها تدعيما لخلافتهم . وحين علم مروان بن محمد هلاكه في أبي صير دفع البردة والقضيب إلى خادم وأمره أن يدفنها ، فلما اقتيد الخادم أسيراً إلى بني العباس صاح فيهم قائلاً : " إن قتلتموني ضاع ميراث النبي ﷺ فأمنوه على أن يسلم ذلك لهم[٢٩] . وفي ذلك أنشد إسحق ابن سويد :

في رداء النبي أقوى دليل ثم في العقب والعصاء والقضيب[٣٠]

وقال أبو الشيص الأعمى في مجلس الرشيد :

يا بني هاشم أفيقوا فإن الملك منكم حيث العصا والرداء

ما لمروان في قريش كفاء وقريش ليست لهم أكفاء[٣١]

أما ألقابهم فقد كانت معبرة عن السمة الدينية لأنها مستوحاة من المشرع كالمهدي والهادي ، ويذكر المسعودي بأن بني أمية قد سبقوا بني العباس في ذلك فقد تلقب معاوية بن أبي سفيان (بالناصر لحق الله) ويزيد بن معاوية (بالمستنصر على الربيع) ومروان بن الحكم (بالمؤمن)[٣٢] .

كان طبيعيا أن يُظهر بنو العباس - الذين جعلوا أنفسهم حماة للدين - غيرتهم عليه بتعقب الملحدين والزنادقة مثال الخليفة المهدي الذي أنشأ للزندقة ديوانا واسنده إلى عمر الكلوازي[٣٣] ، بل وأوصى الهادي بذلك فتبعهم رغم قصر مدة خلافته[٣٤] ، وكذلك المأمون الذي قتل بعض زنادقة البصرة[٣٥] . كما اقترب العباسيون من الفقهاء على اختلاف مذاهبهم وعلى سبيل المثال لا الحصر حاول المنصور إسناد مهام إدارية إلى البعض منهم ليكونوا عونا للدولة ويظهر ذلك فيما اتخذه من سياسات تجاه كل من الإمام أبي حنيفة النعمان[٣٦] ، وعمرو بن عبيد المعتزلي[٣٧] ، إضافة إلى تقربه من فقهاء الحجاز وبالذات الإمام مالك بن أنس الذي أصبح في نهاية المطاف الآمر بالمعروف لولاة الحجاز بشكل عام[٣٨] .

وحرص العباسيون على إشاعة المظاهر الدينية التي تمسكوا بها في سائر الأقاليم ، ومن أجل ذلك استخدموا سياسة إعلامية لهذا الأمر فكان على المواطنين الإصغاء لرسائل الخميس التي كان يكتبها ابلغ كتّاب الدولة . وخلاصة هذه الرسائل الحث على تأييد الدولة

العباسية ، وأن أولى الناس بولاية خلافة رسول الله ﷺ بنو العباس عمه ووارثه من بعده، وتأييد الخليفة القائم والإشادة بذكره وتعداد مناقبه ومآثره ، وبيان بأنه أولى أهل بيته بالخلافة ، فقد اتّبع خلفاء بني العباس هذه السياسة منذ عهد السفاح وخاصة في خراسان ، حيث كانت الرسائل تتلى على أهلها بعد حشدهم لسماعها تفخيما لشأن الخليفة عندهم وتجديداً لولائهم لبني العباس[٣٩] .

هكذا أدمج العباسيون الدين في السياسة ليؤكدوا شرعية خلافتهم ، فتأثر المجتمع الإسلامي بذلك رغبة ورهبة فلم نر من الفقهاء والأتقياء معارضين لبني العباس كما عارضوا بني أمية لأن بني العباس استطاعوا أن ينشروا بين الناس نهجهم الديني إلى جانب السيف في حين لم يستطع بنو أمية فعل ذلك ، فصاحب الفخري يقارن بين الدولتين فيقول : " وكانت دولة بني أمية مكروهة عند الناس ملعونة مذمومة ثقيلة الوطأة مستهترة بالمعاصي والقبائح" [٤٠] ، وعن بني العباس يقول " إن هذه دولة من كبار الدول ساست العالم سياسة ممزوجة بالدين والملك فكان خيار الناس وصلحاؤهم يطيعونها تدينا والباقون يطيعونها رهبة ورغبة. . " [٤١] .

لذا كان لزاماً على كل العاملين في خدمة العباسيين من علماء وكتّاب وشعراء وموظفين وغيرهم أن يخاطبوا الخلفاء في المناسبات والاحتفالات بما يناسب مكانتهم الدينية. فبعد وفاة المنصور دخل عبد الله بن عتبة على المهدي معزيا فقال " آجر الله أمير المؤمنين علي أمير المؤمنين قبله ، وبارك الله له فيما خلفه فيه ، ولا مصيبة أعظم من فقد إمام والد ، ولا عقبي أجل من خلافة الله على أولياء الله . . . " [٤٢] . حتى في هجاء الشعراء لهم لم يستطع بشار بن برد أن يخفي التأثير الديني عليه عندما هجا المهدي حين استبد وزيره يعقوب بن داود بالأمر قائلاً :

بني أمية هموا طال نومكم إن الخليفة يعقوب بن داود

ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا خليفة الله بين النّاي والعود[٤٣]

وامتد ذلك التأثير إلى الثوار المعارضين لدولة بني العباس فقد وصف أحد الثوار على خلافة المتوكل بأنه " حبل ممدود بين الله وخلقه " [٤٤] .

كما امتد ذلك التأثير أيضاً إلى المذنبين في نظر الدولة فقد غضب المهدي على أحد القحاطبة فأتى به وقد سل السيف ونشر النطع فبكى الرجل فقال له المهدي هل تبكي جزعا من الموت فأجابه : لا ولكن بكيت أن ألقي الله وأنت ساخط عليّ فعفي المهدي عنه [٤٥] ، فقد تمكن الرجل من إرضاء غرور المهدي حينما جعل رضا الله من رضائه فكان سببا في نجاته .

وبمرور الزمن ترسخت بين العامة والخاصة أحقية بني العباس بالخلافة ، ويظهر ذلك جلياً في رفض سكان بغداد تولي « علي الرضا » ولاية العهد في خلافة المأمون فخلعوهما وبايعوا إبراهيم بن المهدي بالخلافة ولقبوه بالخليفة السني معبرين عن رفضهم للعلويين [٤٦] .

ولا يخفي أثر هذه السمة الدينية على الشعراء ، ذلك أنهم وجدوا في إضفاء القدسية على بني العباس أرضية خصبة للكسب المادي ، كما أن بني العباس وجدوا ضالتهم في هؤلاء الشعراء لما لهم من أهمية في التعبير عن مركزهم الروحي بين المسلمين وخاصة أن بني أمية لم يستغلوا هذا الجانب سياسياً [٤٧] . فالسفاح قرب شديف بن ميمون الشاعر [٤٨] ، بعد توليه الخلافة حينما وصفه بالمهدي المنتظر في حضور جماعة من بني أمية مع تشيعه فأنشد قائلاً :

ظهر الحق واستبان مضيا ... إذ رأينا الخليفة المهديا
قد أتتك الوفود من عبد شمس ... مستكينين قد أجادوا المطيا
فاردد الغدر وامض بالسيف حتى ... لا تدع فوق ظهرها أمويا [٤٩]

فكان حافزاً للسفاح بقتلهم وإجازته بألف دينار .

وكان أبو نخيلة [٥٠] من أوائل الشعراء الذين سلطوا الأضواء على أحقية بني العباس بالخلافة فقد وصفهم بالأوصياء إذ أنشد أبو العباس بقوله :

حتى إذا ما الأوصياء عسكروا ... وقام من تبر البني الجوهر
ومن بني العباس نبع أصغر ... ينميه فرع طيب وعنصر
أقبل بالناس الهوي المشهبر ... وصاح في الليل نهارا أنور [٥١]

ولم يبتعد أبو نخيلة عن البلاط العباسي إلا فترة قصيرة ، لأن المنصور كره تقرب الشعراء وارتزاقهم بالشعر[٥٢] ولكن ما أنشده أبو نخيلة كان متمشيا مع الطابع الديني السياسي لدولة بني العباس فقد أعجب المنصور بمدحه حينما جعل خلافته من الله ، إذ عبّر عما يدور في خلد المنصور من أنه خليفة الله في أرضه ، يحكم بمشيئته وليس على المسلمين إلا الطاعة ومما قاله :

دونك عبد الله أهل ذاكا خلافة الله الذي أعطاكا
أعطاك ربي وربها اصطفاكا فقد تنظرنا لها أياكا[٥٣]

أدرك أبو نخيلة كيف يختار العبارات المناسبة ، فأنشد المنصور قصيدة أخرى قال فيها :

إلى أمير المؤمنين فاعمدي سيري إلى بحر البحور المزبد
أنت الذي يابن سمي أحمد ويابن بيت العرب المشيد
بل يا أمين الواحد المؤيد إن الذي ولاك رب المسجد[٥٤]

لقد أكد على صلة نسبه برسول الله ﷺ وكونه من أعرق البيوتات العربية وممن خصّهم الله تعالى بالولاية وبهذا لا يكون أحد أحق منه بالخلافة . وحين أحس أبو نخيلة برغبة المنصور في تحويل ولاية العهد لابنه محمد المهدي أنشد مشجعا المنصور في تنفيذ مخططه فقال :

ليس ولي عهدنا بالأسعد عيشه فزحلقها إلى محمد
فناد للبيعة جمعا تحشد يومنا الحاضر هذا وعد[٥٥]

وعلى الرغم من دعوة المنصور إلى إبعاد عيسى بن موسى عن ولاية العهد إلا أنه أكد على الجانب الديني بأخذ البيعة من المسلمين فقد أصبحت من ضرورات الخلافة والولاية ، أما الشاعر فقد أجازه جائزة مالية ، وكان قد استنكر قبل اعتزامه على خلع عيسى قيام ابنه محمد بمنح جائزة لشاعر مدحه مشبها أياه بالمهدي فقد أنشده المؤمل بن اميل المحاربي قصيدة قال فيها :

هو المهدي إلا أن فيـــه مشابه صورة القمر المنير

فهذا في الظلام سراج الليل وهذا في النهار ضياء نور
فيا ابن خليفة الله المصطفي به تعلو مفاخر الفخور[٥٦]

ورغم إعجاب المنصور بالقصيدة إلا أنه ناصفه جائزة المهدي ، ويظهر بأن الفكرة بنقل الولاية لابنه لم تكتمل آنذاك في ذهن المنصور ، أو لم يتهيأ المسلمون لتقبل ذلك[٥٧] .

أدرك الشعراء في عهد المهدي بأنهم سوف ينالون مرتبة عالية في البلاط إن كان مدحهم للخليفة معبرا عن علو مرتبته عن البشر ، فالمهدي قرب سلم الخاسر حينما مدحه بصفات الله جل جلاله ، فلم يعترض المهدي على ذلك ومما قاله :

لقد جعل الله في راحتيك حياء النفوس وآجالها
ووجدناك في الأولين محبي النفوس وقتالها
وموسى شبيه أبي جعفر ومعطي الرغائب سؤالها[٥٨]

كما وصفه آخر بأنه منزل الغيث مزيل كرب المسلمين فبيده إخراج الزرع وفي هذا المعني قال لقيط بن بكير الحارثي :

أمام الهدي سقينا بك الغيث وزالت عنا بك الأرواء[٥٩]

وظل سلم الخاسر مرتبطا بالبلاط حتى بعد وفاة المهدي ، فقد كتب الرشيد لأخيه الهادي وهو بجرجان بالخير والبيعة ووجه مع الرسول الخاتم والقضيب والبردة ، وبعد وصوله إلى بغداد انشده سلم الخاسر مباركا له بالخلافة فقال[٦٠] :

لما أتت خبر بني هاشم خلافة الله بجرجان
أسرع في الأرض وقد حازها إسراع ذي الريح سليمان
كانت لذلك الريح مأمورة وذا على سقواء مذعان

فقد بين بأنه خير بني هاشم وخليفة الله على الأرض ، بل شبهه بالأنبياء حين سخر الله الريح لسليمان كما جاء في كتاب الله بقوله تعالى : ﴿ فسخرنا له الريح . . . ﴾[٦١] .

ومن الثابت أن الدولة الإسلامية في عهد الرشيد شهدت ازدهاراً لم يسبق له مثيل وشاع صيت الخليفة بالتقوى والورع والجهاد ، واستغل الشعراء ما أشيع بين المسلمين من

محاسن فعبروا عن الجو العام بما يرضي نظرة الخليفة لدولته . فنري داود بن زرين يمدح الرشيد بقوله :

بهارون لاح النور في كل بلده وقام به في عدل سيرته النهج
إمام بذات الله أصبح شغله وأكثر ما يغني به الغزو والحج
وإن أمين الله هارون ذا الندي ينبل الذي يرجوه أضعاف ما يرجو[٦٢]

وبرز الشعراء في المناسبات ليعبروا عن هذا الإطار المتبع من تشبهه الخليفة بأنه خليفة الله والأمين على أمة محمد ، فقد أنشد سلم مسلم الخاسر حين أخذ الرشيد البيعة للأمين عام ١٧٥هـ فقال :

وفق الله الخليفة إذ بني بيت الخليفة للهجان الأزهر
قد بايع الثقلان في مهد الهدي لمحمد بن زبيدة ابنه جعفر[٦٣]

وتابع الخاسر مثل هذه المناسبة حين بايع الرشيد بولاية العهد لابنائه الثلاثة ، فوصفهم الشاعر بأنهم صفوة الخلق الذين اختارهم الله للخلافة ، رغم تخوف العامة من مخاطر هذه الخطوة ، وفي ذلك أنشد قائلا :

الله قلد هارونا سياستنا لما اصطفاه فأحيا الدين والسننا
وقلد الأرض هارون لرأفته بنا أمينا ومأمونا ومؤتمنا[٦٤]

وعند وفاة الرشيد عام ١٩٣هـ تنافس الأمين والمأمون على الخلافة ، وانتهت هذه الفتنة بقتل الأمين فبايع أهل خراسان المأمون بالخلافة وأنشد شاعر منهم قائلا :

أصبحت الأمة في غبطة من أمر دنياها ومن دينها
إذ حفظت عهد إمام الهدى خير بني حواء مأمونها[٦٥]

وحين قدم بغداد أنشده صالح بن الرشيد :

حمدنا الله شكرا إذ حيانا بنصرك يا أمير المؤمنينا
فأنت خليفة الرحمن حقا جمعت سماحة وجمعت دينا[٦٦]

وخير من استغل السمة الدينية في شعره في مدح بني العباس وإبراز حقهم في الخلافة الشاعر أبو السمط مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة وكان أبو حفصة يهوديا من سبي اصطخر ، اشتراه عثمان بن عفان ، ووهبه لمروان بن الحكم[٦٧] .

كان مروان ناصبياً ولد عام ١٠٥هـ وتوفي عام ٢٨١ هـ ، لمع بشعر المديح السياسي إذ عمد إلى الدفاع عن حقوق العباسيين في الخلافة والرد على العلويين الذين طالبوا بحقهم في الخلافة ، وحين سأل عن سبب حملته هذه في شعره أجاب بغضا لهم . وقد عبر عن هذا الشأن في مدح المهدي قائلا :

هل يطمسون من السماء نجومها ... بأكفهم أم يسترون هلالها
أم يدفعون مقالة عن ربه ... جبريل بلغها النبي فقالها
شهدت من الانفال آخر آية ... بتراثهم فاردتم ابطالها

يقصد الشاعر بطبيعة الحال قوله تعالى : ﴿ والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولو الأرحام بعضهم أولي ببعض في كتاب الله إن الله بكل شيء عليم ﴾ [٦٨] . فهو يشير إلى حق العباسيين في وراثة الخلافة ، وإنهم مقدمون في هذا الحق على أبناء بنت رسول الله ﷺ إذ العم مقدم على الأسباط في الوراثة حسب الشريعة الإسلامية . ولم ير الخليفة المهدي غضاضة من منحه مكافأة قدرها مائة ألف درهم[٦٩] .

مضي مروان يمدح بني العباس بشعر سياسي ديني موافق لهواهم ، فأغدقوا عليه الكثير لعدم قدرة بني العباس هجاء خصومهم من العلويين فهم جميعا من بني هاشم ، فكان خير فارس لهم هذا الشاعر فقد أنشد الرشيد :

يابن الذي ورث النبي محمدا ... دون الأقارب من ذوي الأرحام
الوحي بين بني البنات وبينكم ... قطع الخصام فلان حين خصام
ما للنساء على الرجال فريضة ... نزلت بذلك سورة الأنعام
أني يكون وليس ذلك بكائن ... لبني البنات وراثة الأعمام

فأمر له الرشيد بمائة وعشرة آلاف درهم ، وتناقل الناس هذه القصيدة مما أغضب الشيعة حتى قيل أن مروان قد قتل على يد أحدهم عام ١٨٢هـ [٧٠] .

كان هناك تنافس بين بني العباس والعلويين حول من هم أحق بوراثة الرسول ﷺ فالتفاخر بهذا الأمر كان يحرج العباسيين . فهارون الرشيد أتي قبر الرسول ﷺ وحوله قريش ورؤساء القبائل ومعه موسى بن جعفر الكاظم ، فقال السلام عليك يارسول الله يا ابن العم افتخارا على من حوله ، أما موسى الكاظم فقال : السلام عليك يا أبت فتغير وجه الرشيد وقال: هذا هو الفخر يا أبا الحسن حقا ، ثم أمر بحمله معه إلى بغداد وسجنه عام ١٧٩هـ[٧١] .

وخلاصة القول : إن العباسيين منذ فجر دعوتهم السرية رفعوا شعارات إسلامية ، فبايعوا الناس على كتاب الله وسنة رسوله والرضا من آل محمد دون أن يعلنوا عن ذلك الذي سوف تؤول إليه الخلافة وكشفوا مخططهم في وقت لاحق وحينئذ زعموا بأن الخلافة باقية فيهم إلى قيام الساعة وأنهم صفوة خلق الله ومعدن الدين والملك ، سوف ينقذون الناس من الجور ويملأون الأرض عدلا فتأثر العلماء والفقهاء والعامة وتغني الشعراء بهذه السمة واستمرت دولتهم حتى دخول المغول بغداد عام ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م ، كما يتضح لنا فيما أسلفنا من أنهم قد أدمجوا الدين بالسياسة وكانت غايتهم من ذلك تثبيت حكمهم ، وقد لخص ابن طباطبا هذه السياسة في قوله السابق[٧٢] .

ثانياً : الإتجاه نحو الشرق :

معروف أن انتقال الحكم إلى العباسيين أدخل الخلافة الإسلامية في مرحلة جديدة فبدلاً من التوجه والتركيز على الغرب المتوسطي حتى أبعد نواحيه كشمال أفريقيا وجنوب أوربا فإن العباسيين ركزوا على الشرق[٧٣] ، وفي هذا ما يفسر تأثر الدولة الإسلامية في عهد بني العباس إلى حد كبير بالثقافة الشرقية على أثر ميل الخلفاء إلى الموالي : ورغبتهم في استقصاء نظمهم حتى أصبح نظام الحكم في عهدهم مماثلاً لما كان عليه عند السياسيين[٧٤] ، وعلى الرغم من أن العباسيين قد ورثوا نظم الحكم والإدارة عن بني أمية، إلا أنهم غالوا في الاعتماد على الأثر الفارسي مما كان سببا في سيادة مظاهر الثقافة الشرقية في عهدهم بشكل واضح وليس أدل على ذلك من قول الجاحظ "خلفائنا من ولد العباس ولو أن دولتهم أعجمية خراسانية ودولة بني أمية عربية أعرابية . . ."[٧٥] .

ويرى المسعودي أنه باستخدام العباسيين للموالي " سقطت قيادات العرب وزالت رياستها وذهبت مراتبها " ويذكر بيكر " أن انتصارات العباسيين معناه انتصار الفرس على العرب " ويرى فلهاوزن " أن حكم العرب انتهى بمجيء العباسيين وأن الفارسية انتصرت على العربية تحت شعار الأممية الإسلامية "[٧٦] .

إن ما أسلفناه لا يعد بأي معيار ممثلا للحقيقة التي لا يقرها الظاهر بطبيعة الحال ، فخلفاء بني العباس بوصفهم عرباً استمسكوا بالعربية التي هي آنذاك لغة الدين والحكم والأدب، وكل ما في الأمر أنهم قرّبوا الموالي فنال الخراسانيون في عهدهم التقدير والرفعة جزاء ما قدموه للثورة وما أبدوه من ولاء ، ولكونهم ممّن يملكون ثقافة واسعة أسندوا إليهم وظائف هامة في إدارة الدولة الأمر الذي أوغر صدر العرب الذين باتوا على أثر ذلك أقل شأنا منهم في هذا المجال[٧٧] .

لقد أثنى بنو العباس قولا وفعلا على الخراسانيين في خطبهم تقديرا لمساهمتهم منذ إعلان خلافة أبي العباس ، فقال داود بن علي " . . . حتى أتاح الله لنا شيعتنا أهل خراسان ، فأحيا بهم حقنا ، وأفلج بهم حجتنا ، وأظهر بهم دولتنا "[٧٨] ، واستمر بنو العباس يعترفون بهذا الفضل في قيام الدولة فنعتوهم بالشيعة والأنصار في كل خطبة ومناسبة بل وكونوا جل قوتهم العسكرية منهم[٧٩] .

ونتيجة لهذا الارتباط الوثيق تأثر العباسيون بنظم الثقافة الشرقية وعاداتهم[٨٠] فأخذوا عنهم نظام الوزارة الذي كان مستهجنا عند بني أمية ، ويذكر المسعودي بأن ملوك بني أمية تنكر أن تخاطب كاتبا لها بالوزارة وتقول " الوزير مشتق من الوزارة ، والخليفة أجل من أن يحتاج إلى المؤازرة "[٨١] . ومع ذلك اصطنع الخلفاء الأمويون أولي الرأي وقربوهم إليهم ، وتلقب بعض هؤلاء بالوزارة مثل زياد بن أبيه ، وعبد الحميد الكاتب في خلافة مروان بن محمد فكانت تسمية دون الاختصاصات .

أما بنو العباس فجعلوا للوزارة اختصاصات معينة وقواعد مقننة من أهمها الإشراف على الشئون المالية من إيرادات الدولة ونفقاتها[٨٢] ، وكان يشترط فيمن يتولى هذه

الوظيفـــة أن يتحلى بثقافة عالية من الإدارة والأدب ، ويحظي بثقة الخليفة ، لذا كان معظم وزراء بني العباس من مواليهم من طبقة الكتّاب البارزين وسمة التنكيل بهم بارزة لتجاوزاتهم في نظر الخليفة [٨٣] ، كالخلال والموريانى ، ويعقوب بن داود ، وأقرانهم من البرامكة .

ويمكن أن تأخذ تبرير المأمون في دفاعه عن آبائه حينما دافع عن إيقاع الملوك بخاصتهم بقوله : " وهناك خيانات في صلب الملك أو في بعض الحرم فلا يستطيع الملك أن يكشف للعامة موضع العورة في الملك ، ولا أن يحتج لتلك العقوبة بما يستحق ذلك الذنب، ولا يستطيع الملك ترك عقابه لما في ذلك من الفساد على علمه بأن عذره غير مبسوط للعامة ، ولا معروف عند أكثر الخاصة " [٨٤] .

فالمأمون مدرك لتجاوزات الوزراء ، فله تجربة مريرة مع الفضل بن سهل أثناء إقامته في خراسان ، لذا أوصى أخاه المعتصم بأن لا يستوزر أحدا [٨٥] ، ولكن الوزارة رسخت قواعدها فلم يستطع المعتصم تنفيذ وصية المأمون فعين أحمد بن عمار بن شاذي وزيرا له.

كان خلفاء بني العباس يباشرون الوزراء بلفظ التقليد والنيابة ، ويحضرون الأعيان والقضاة وأركان الدولة ، ثم يقول الخليفة لمن يوليه : قلدتك النيابة عني ، وفوضت إليك ما وراء بابي ، فيخدم ويقبل [٨٦] . ولأهمية هذه الوظيفة خلعوا على صاحبها ألقابا رنانة. فأبو سلمة لقب بوزير آل محمد ، والمهدي لقب يعقوب بن داود أخ في الله ، ولقب الفضل بن سهل بذي الرياستين والحسن بن سهل بذي الكفايتين [٨٧] .

وأكثر المهتمين من وزراء بني العباس بالأثر الساساني الفضل بن سهل فقد كان يجلس على كرسي مجنح ويُحمل فيه إذا أراد الدخول على المأمون ، فلا يزل يُحمل حتى تقع عين المأمون عليه ثم ينزل عنه فيمشي ويحمل الكرسي حتى يوضع بين يدي المأمون ثم يسلم ويعود فيقعد عليه [٨٨] .

لقد ساد بين العباسيين الكثير من مظاهر الحضارة الشرقية ، حيث احتفلوا بأعياد الفرس كالنيروز [٨٩] ، والمهرجان [٩٠] ، وتبادلوا الهدايا كالفرس مع وزرائهم وولاة الأقاليم

والأعيان[٩١] ، نتيجة ميل العباسيين إلى الخراسانيين وآثارهم على العرب حتى أصبحت من أهم أعيادهم الرسمية في العصر العباسي الأول[٩٢] . ويذكر القلقشندي بأن أول من ابتدع هدايا النيروز الحجاج بن يوسف[٩٣] ، فقدمت هذه الهدايا للعباسيين ، فقد أهدى أبو العتاهية إلى المهدي يوم نوروز أو مهرجان برنية صينية فيها ثوب ممسك فيه سطران مكتوبان عليه بالغالية :

نفسي بشيء من الدنيا معلقة ... اللّـه والقائم المهدي يكفيها
أني لايأس منها ثم يطمعني ... فيها احتقار للدنيا ومافيها[٩٤]

وأهدى أبو دلف القاسم بن عيسي العجلي إلى المأمون في يوم مهرجان ، مئة حمل زعفران في شبك وابريسم على مئة أتان شهباء وحسنية مرباة[٩٥] . وأهدي أحمد بن يوسف بن القاسم هدية للمأمون في النوروز قيمتها مليون درهم بعد توليه الوزارة وكتب معها هذه الأبيات :

على العبد حق لابد فاعله ... وإن عظم المولي وجلت فواضله
ألم ترنا نهدي إلى اللّه ماله ... وإن كان عنه ذا غني فهو قابله

قال المأمون عاقل أهدي حسنا[٩٦] .

كما أن العباسيين اتبعوا في عرض هذه الهدايا على نحو ما جرت به العادة عند الساسان[٩٧] ويذكر الشابستي برواية عبد الله بن حمدون : " كنا عند المتوكل في يوم نوروز والهدايا تعرض عليه ، وفيها تماثيل من عنبر وكان شفيع الخادم واقفاً . . [٩٨] .

كما حرص العباسيون على تمييز كل طبقة من رجالات البلاط بهيئة خاصة إذ لكل طبقة ملبس خاص بهم يعرف من هيئته صناعته التي هو فيها[٩٩] . ويذكر الجاحظ أن بني العباس ساروا على هذا النهج ومما قاله : " لكل قوم زي فللقضاة زي ، ولأصحاب القضاة زي ، وللشرطة زي ، وللكتّاب زي ، ولكتّاب الجند زي " فإذا كان هذا أثناء العمل الرسمي فإن للدخول على الخليفة زياً خاصاً لكل وظيفة ، وفي هذا يتم الجاحظ قوله : "وأصحاب السلطان ومن دخل الدار على مراتب ، فمنهم من يلبس المبطنة[١٠٠] ، ومنهم من يلبس الدراعة[١٠١] ومنهم من يلبس القباء[١٠٢] ، ومنهم من يلبس البازيكند[١٠٣] ، ويعلق الخنجر ويأخذ الجرز[١٠٤] . . . "[١٠٥] .

أما الصابي فيحدثنا بأن لكل فئة من أصحاب المراتب في الدولة ملبساً ولوناً خاصاً وفي ذلك يذكر : " فأما العباسيون من أصحاب المراتب فزيهم السواد بالأقبية المولدة ، الخفـــاف ، اللهم إلا أن يكون منهم من قد ارتسم بالقضاء فله أن يلبس الطيلسان[١٠٦] ، أما قضاة الحضرة ، ومن أهل السواد من قضاة الأمصار والبلاد ، فالقميص والطيالسة والدنيات والفراقفات[١٠٧] . . . ، أما أولاد الأنصار فبالثياب والعمائم الصفر ، وأما الأمراء والقواد فبالأقبية من كل صنف والعمائم على هذا الوصف ، وفي أرجلهم الجوارب والالكات السود مشدودة بالزنانير هذا حكمهم يراعي أمره . . . "[١٠٨] .

أما هيئة الخليفة نفسه فقد كانت متأثرة بثقافة غير العرب منذ ولاية معاوية بن أبي سفيان على بلاد الشام فقد عدل معاوية مظهره كحاكم للبلاد مجاراة للثقافة البيزنطية السائدة في المنطقة لكي يفرض هيبته في نفوس سكان الشام ، فتأنق في ملبسه وكان يسير في موكب يحيط به الحرس والحجاب ، وحين قدم الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه عليه أبدى استنكاره لهذا وقال : " أكسروية يا معاوية " فأجابه معاوية : بجواب حسن أقر الخليفة ما قدم عليه[١٠٩] ، فأصبح بعد ذلك تأنق الخليفة لازمة من لوازم الحكم في الخلافة الأموية ، واستمر هذا التقليد عند العباسيين .

فأحاط الخليفة نفسه بهالة من الأبهة والفخامة والجبروت كالملوك فجرت العادة أن يكون جلوس الخليفة على كرسي[١١٠] مرتفع مغطي بحرير أرمني أو من الخز ويلبس قباء أسود خالصا أو مطرزا بحرير أبيض ، وعلى رأسه عمامة سوداء رصافية ، ويتقلد سيف النبي ﷺ ويلبس خفا أحمر ، ويضع بين يديه مصحف عثمان (رضي الله عنه) وعلى كتفيه بردة النبي ﷺ ويمسك بقضيبه ، ويقف خلف السرير وحواليه الغلمان متقلدين بالسيوف[١١١] .

وأدخل العباسيون مراسيم الدخول في دولتهم على نحو ما انضوت عليه النظم عند الساسان ، ومن ذلك مثلا أن النظام الساساني الذي كان لا يسمح للأشراف ومايليهم بالاقتراب من الملك عند الدخول عليه إلا إذا أذن لهم ، وقبلوا أطرافه[١١٢] ، وقد صار متبعا عند العباسيين، في حين كان مستهجنا من قبل عند بني أمية الذين كرهوا ظاهرة تقبيل

اليد ونظروا إليها بازدراء فقد دخل رجل على هشام بن عبد الملك فقبّل يده فقال : " أف له أن العرب ما قبّلت الأيدي إلا هلوعا ، ولا قبلتها العجم إلا خضوعاً "[١١٣] .

وليس أدل على شيوع الأثر الساساني فيما اتخذه العباسيون من مراسم في شأن آداب الدخول من قول الصابي : " إذا دخل الداخل إلى حضرة الخليفة ، من أمير أو وزير أو ذي قدر كبير ، فلم يكن من العادة القديمة أن يقبّل الأرض ، ولكنه قال السلام عليك أمير المؤمنين ، وربما تقدم الوزير أو الأمير فأعطاه الخليفة يده مغشاة بكمه إكراماً له ليقبلها . . . وقد عدل عن ذلك إلى تقبيل الأرض واشترك اليوم فيه كل الناس " ويستثنى الصابي هذا أولاد الخلفاء وبني هاشم والقضاه والفقهاء والزهاد والقراء فكانوا يقبّلون يدا لا أرضاً[١١٤] .

فمظاهر ثقافة الشرق ظهرت في ثوب جديد عربي إسلامي في بلاط خلفاء بني العباس فقد كان ملوك الفرس جميعا يحتجبون عن ندمائهم بوضع ستار بينهم وبين أصحابهم فالفصل بينهما نحو عشرين ذراعاً[١١٥] .

لقد اتبع هذا بعض خلفاء بني أمية[١١٦] ، كذلك بني العباس فقد كان أبو العباس أول أيامه يظهر للندّماء ثم احتجب عنهم بعد سنة[١١٧] ، أما المنصور فلم يظهر لنديم قط بل ضاعف المسافة بينه وبين الستار والندماء[١١٨] واتبع المهدي سنّة والده مدة سنة فلم يحتجب بعدها[١١٩] ، أما الرشيد فقد كان على شاكلة المنصور في الاحتجاب عن ندمائه[١٢٠] .

أما خلع الخلفاء على ندمائهم فكانت عبارة عن عمامة وشيء مذهبة وغلالة ومبطنة ودراعة ، يحمل مع المخلوع عليه[١٢١] .

فنتيجة لغلبة الموالي في المؤسسات الإدارية في العصر العباسي انتشرت نظم الساسانيين لذا حق لبعض المؤرخين وصف الدولة العباسية بأنها أعجمية وملكهم كسروي فقد اتبعوا عاداتهم وتقاليدهم في حياتهم اليومية وفي نظم إدارتهم للدولة الإسلامية .

ثالثاً : سمة الاستبداد :

الاستبداد شكل من أشكال الحكم يستقل بالسلطة فيه شخص أو مجموعة دون خضوع لقاعدة أو قانون ودون مبالاة برضى المحكومين أو غضبهم[١٢٢] ، والحكم الإسلامي

بدأ مرتكزاً على الشريعة ومعتمدا على الشوري بين أهل الحل والعقد ، وبمقتضي هذا النظام تولى أفضل الصحابة الخلافة غير أنه سرعان ما تحول الحكم في عهد معاوية بن أبي سفيان إلى ملكية وراثية معتمدا على أهل الشام وعصبيته القبلية ، ولكنه برر هذا التحول بأنه لم يعد أحدٌ من صحابة الرسول ﷺ على قيد الحياة لذا فابنه أولى بالخلافة من أبناء الصحابة[١٢٣] .

انفرد بنو أمية بالخلافة واتبعوا سياسة اللامركزية في الحكم فمكنوا ولاتهم من الأقاليم بإعطائهم صلاحيات واسعة ، فقد كان هدفهم حماية سلطانهم من المناهضين لهم ، وبعد جهود جبارة استطاع بنو العباس من نشر دعوتهم ورفعوا شعاراً مبهما في جوهره فأعلنوا بأن الخلافة للرضا من آل محمد وبنجاح الثورة استقلوا بالسلطة وقمعوا كل مطالب بها وخاصة العلويين ، فهذه سياستهم منذ أن بدأ الدعوة محمد بن علي بن عبد الله العباسي حين اتخذ موقفا سلبيا من ثورات العلويين وحذر نقباءه عن تقديم أية مساعدة لثورة زيد بن علي عام ١٢٢هـ ، وعمم هذا التحذير أبو هاشم بكير بن ماهان على شيعة بني العباس ، لذا لم يساندوا هذه الثورة والتزموا منازلهم[١٢٤] ، كما أخفي العباسيون رغبتهم في الحكم حتى أن محمد بن علي أوصي بكير بعدم مجالسة الشيعة ومناقشتهم في مسألة الخلافة - أحرج القضايا آنذاك - خوفا من أن ترجح كفتهم[١٢٥] بل كتموا مطالبتهم بالحكم حتى عام ١٢٩هـ حينما اجتمع بنو هاشم في الأبواء فلم يقبلوا بمحمد بن عبد الله بن الحسن زعيما لبني هاشم لصغر سنه[١٢٦] .

كان التردد قائما بين المسلمين وحتى الذين ساندوا الثورة بأحقية بني العباس في الخلافة فأبو سلمة الخلال ماطل في مبايعة أبي العباس عبد الله لولا تدخل الجناح العسكري وعلى رأسهم أبو الجهم عطية الباهلي[١٢٧] الذي أعلن من يومها بأن الخلافة عباسية وأنهم أحق بها بوصفهم أبناء عم رسول الله ﷺ ولأن الله وهبهم صفات وأعدهم لهذا الأمر فتوارثوها فألغيت بها نظام الشورى فاستبدوا بالحكم وقمعوا كل ثورة هددت كيان خلافتهم .

أما المنصور فقد رسخ قواعد الاستبداد في حكمه فادعى بأنه سلطان الله في الأرض وعلى أمة محمد ﷺ قبول أوامره ونواهيه دون اعتراض . عبر عن هذا في خطبته في

مكة، وكذلك في رسائل الخميس ومما جاء فيه " وإن من لطف الله ورحمته ان رفع التخاصم وكفى المؤمنين عناء الاختيار بأن رفع آل البيت ووصل نسبهم برسول الله ﷺ وافترض مودتهم على خلقه " . أي لا خيار للمسلمين إلا القبول بما يحكمون وعليهم المبايعة للعباسيين على الولاء والطاعة[١٢٨] فأحلوا دم كل معارض لهم وإن كان أقرب المقربين إليهم، فلا يحق له نقد الخليفة ولنضرب مثلا بأبي عطية الباهلي الذي كان عينا من عيون أبي مسلم الخراساني في الكوفة علي بني العباس ولما استخلف المنصور بلغه بأنه كتب إلى أبي مسلم يخبره ومما كتب " ما على هذا بايعناهم إنما بايعناهم على العدل " فدعاه المنصور وسقاه سماً فمات في اليوم التالي[١٢٩] .

ومن ذلك أيضاً أن المهدي غضب على أحد القحاطبة فأحضر السيف والنطع وأمر بقتله فبكي الرجل فقال المهدي ما يبكيك فأجابه الرجل خوفا من أن ألقى الله سبحانه وأنت غاضب مني فأمر بالإفراج عنه[١٣٠] ، فقد استطاع القحطبي أن يرضي غرور المهدي من الكبرياء فنجا من الموت بكلمات ليست لها أساس من العدل الشرعي .

كما أن بني العباس نكلوا بمعظم وزراء دولتهم دون أن يستندوا إلى حكم شرعي يحل قتلهم . فأبو أيوب المورياني قتل متهما باختلاس أموال الدولة وأسرة البرامكة في عهد الرشيد اتهمت بسيل من التهم لا تنطوي على حق يسمح للرشيد قتل جعفر بن يحيى ، فهذه الظاهرة بدأت منذ مطلع الدولة العباسية حين أمر بقتل الخلال[١٣١] .

وإذا كان بنو العباس قد أحلوا دماء المقربين الذين لهم الفضل في قيام دولتهم وأمنها واستقرارها ، فأولى بهم أن يكونوا أكثر ضراوة تجاه الخصوم ، فقد تصدوا لثورتهم بكل حزم ولكن إن عجزوا اتبعوا المكر والدهاء وأعطوهم الأمان حتى إذا تمكنوا منهم نقضوا هذه المواثيق الأمر الذي يكشف لونا من مظاهر الاستبداد عندهم .

فقد نقض السفاح عهد الأمان لابن هبيرة[١٣٢] ونقض المنصور عهد أمان لعمه عبد الله بن علي[١٣٣] ونقض الرشيد كتاب أمان ليحيى بن عبد الله الثائر ببلاد الديلم[١٣٤] . فالغدر سمة الاستبداد ، وقد عبر ابن طباطبا بهذا القول " واعلم أن الدولة العباسية كانت دولة خداع ودهاء وغدر ، وكان قسم التحيل والمخادعة فيها أوفر من قسم القوة والشدة ، وخصوصا في آخرها، . . . "[١٣٥] .

والحق أن الانفراد بالحكم يمثل استبداداً إن لم يقترن بمبدأ الشورى وكثيرا ما انفرد بنو العباس بآرائهم الخاصة في الحكم على القضايا في الوقت الذي رفعوا فيه شعار الحكم بكتاب الله وسنة الرسول ﷺ والعدل والمساواة ، ومع هذا تدخلوا في أمر القضاء ، وجعلوه غير مستقل الأمر الذي يفسر ظاهرة هروب العديد من الفقهاء للقيام بهذه الوظيفة، وعلى سبيل المثال رفض الإمام أبي حنيفة النعمان وسفيان الثوري وشريك تولي القضاء[١٣٦] كذلك رفض الإمام الشافعي القضاء في عهد الرشيد[١٣٧] .

وحدثت طفرة في استبداد بني العباس وذلك في خلافة المأمون الذي عرف بغزارة العلم والثقافة فقد فرض على المسلمين - جبراً- القول بخلق القرآن متأثرا بما ذهب إليه المعتزلة[١٣٨] مما عرض العديد من فقهاء المسلمين وعلمائهم للأذى والاهانة ، وعلى رأسهم الإمام أحمد بن حنبل ، وسار على نهج المأمون كل من المعتصم والواثق ، ولم يرفع هذه المحنة إلا المتوكل[١٣٩] وإن كان هدفه سياسيا رغبة منه في تدعيم أركان خلافته بأهل السنة والجماعة بعد أن وجد الغضب عاما على المعتزلة فأبعدهم وتقرب للفقهاء .

كما استبد بنو العباس بأموال المسلمين وأسرفوا في ذلك ، فلم يعد بيت المال إلا خزينة خاصة للخليفة العباسي يهب المؤيدين لدولتهم ويمنع المناهضين ، وخصصوا لأبنائهم منذ عهد المهدي رواتب شهرية تكفل لهم عيشة رغدة بواقع عشرة آلاف درهم أو يزيد لكل رجل[١٤٠] .

كما خصص الخليفة المهدي غلة نهر الصلة عطاء لأهل بيته[١٤١] وكذلك أفرد المأمون لزبيدة مبلغ ألف دينار جدد ، ومليون درهم في كل سنة[١٤٢] ، أما العلويون فقد نالهم الكثير في مطلع الدولة العباسية فأبو العباس وهب عبد الله بن الحسين مليون درهم[١٤٣] ، غير " أن هذه السياسة سرعان ما تبدلت بعد خروج النفس الزكية ، حيث جعل منع العطاء عن العلويين عقاباً [١٤٤] ولعل أكثر المواقف تعبيرا عن ذلك التحول ما أقدم عليه العباسيون تجاه أهل الري بعد القضاء على ثورة سنباذ عام ١٣٧هـ ، إذ زادوا أعباء الخراج عليهم بحيث صار المطلوب أداؤه اثني عشر مليونا من الدراهم في كل سنة[١٤٥] .

لم يكتف بنو العباس من التصرف بأموال الخراج والجزية بل أدمجوا أموال الزكاة إلى بيت المال ، وخُصص من مال الزكاة راتب لولاة اليمن ، لذا تحرج بعض الولاة من

مخصصاتهم فحين كلف الرشيد عبد الله بن مصعب بولاية اليمن اشترط على الخليفة بأن يكون راتبه من مال الخراج فوافق الرشيد[١٤٦] . أما أوجه صرف أموال الدولة فكانت في خدمة مصالح الخلفاء في المقام الأول . فالمنصور والمهدي خلعا عيسي بن موسي من ولاية العهد ودفعا له أكثر من عشرين مليون درهم وضياعا بالشراب وكسكر ترضية له[١٤٧] . كما أنهم بالغوا في الاسراف والبذخ بما لا يليق والشعارات التي رفعت أثناء نشر دعوتهم ، فنفقات عرس الرشيد بزبيدة بلغت خمسين مليون درهم من بيت المال ، إضافة إلى ما انفقه الرشيد من ماله[١٤٨] ، ويماثله عرس المأمون على پوران ، ونتيجة لإسرافهم في أموال المسلمين انتقد سفيان الثوري ، الخليفة المهدي في مكة فقال : " حج عمر بن الخطاب فانفق في حجته ستة عشر دينارا ، وأنت حججت فأنفقت في حجتك بيوت الأموال "[١٤٩] . فالإسراف من سمات العصر العباسي الأول أدى إلى ظهوره جملة عوامل ، بعضها كان يتصل بالأغراض السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وبعضها الآخر كان انعكاساً حقيقياً لطبيعة هذا المجتمع من حيث اتساع رقعة الدولة الإسلامية وكثيرة خيراتها وتنوع إيراداتها . ويذكر ابن الزبير قائمة مفصلة لنفقات البلاط العباسي في خلافة المتوكل بأنها بلغت نحو ٧٢٨ر٣٠٠ر٠٠٠ درهم في السنة[١٥٠] .

والخلاصة أن العباسيين نتيجة إشراكهم للفرس في الحكم تأثروا بنظرتهم الاستبدادية، ويقول بالمر " كما كان العباسيون يدينون بقيام دولتهم للنفوذ الفارسي كان طبيعياً أن تسيطر عليهم الآراء الاستبدادية " ويقول آرنولد عن الخلافة العباسية : " ربما ورث هذا الشكل الاستبدادي في الخلافة عن الفرس " لأن هذا النوع من النظام العباسي لم يعرفه عرب الجاهلية ولا يقره الإسلام[١٥١] .

سمة الاتكالية :

تعكس الاتكالية في كثير من الأحيان عزوف أكثر خلفاء بني العباس عن القيام بمهام إدارة الدولة ، إذ فوضوا لها آخرين من رجالات دولتهم حتى يفيق الخليفة ليصلح الأمر بعد أن فسد . ويمكن أن ترجع هذه الاتكالية إلى تحول الإدارة العباسية إلى مؤسسات فكان من العسير على الخليفة متابعة سير العمل الإداري بنفسه لتشعبه وانشغاله بأمور

أخرى . فمنذ بدء الأمر كان الخليفة أبو العباس يعتمد على أفراد أسرته في إدارة الدولة ، إلا أن أبا الجهم ابن عطية الباهلي كان غالباً على أمره [١٥٢] ، الأمر الذي جعل الخليفة المنصور في وقت لاحق يبادر إلى الخلاص منه ، ويمكن القول بأنه قد أدرك مدى امتداد نفوذه في الدولة وخاصة لما له من صلة بأبي مسلم الخراساني بوصفه أحد عيونه في العراق يعلمه بتطورات الأحداث ، لذا لم يعتمد المنصور على شخصية معينة بل نظم وقته للنظر في شئون الدولة . وكان جل عماله من العرب مع بعض الموالي الذين كانوا محط ثقته [١٥٣] ومع ذلك غلب عليه أبو أيوب الخوزي فترة من الزمن عندما استوزره ثم سخط عليه وقتله عام ١٥٤هـ [١٥٤] .

أما المهدي فقد غلب عليه المقربون منه ، فكان وزيره معاوية بن يسار غالباً عليه في صدر خلافته [١٥٥] وخلفه في هذا الإتجاه يعقوب بن داود حينما فوض بالوزارة وانشغل المهدي باللهو الأمر الذي كان لافتاً للرأي العام حتى هجاه بشار في بيتيه السابق ذكرهما . فتخلص منه بالسجن في عام ١٦٦هـ نضيف إلى ما أسلفناه ما كان من تدخل الخيزران في أمور الدولة فهي التي تأمر وتنهي وتشفع وتبرم [١٥٦] ، أما الهادي رغم محاولته التخلص من تدخل والدته في شئون الدولة خلال الفترة القصيرة إلا أن الفضل بن الربيع كان غالباً عليه [١٥٧] واحتفظ الأخير بنفوذه في خلافة الرشيد إلى جانب البرامكة الذين أداروا الدولة . فيحيى بن خالد البرمكي وابناه الفضل وجعفر انفردوا بالحكم والإدارة سبع عشرة سنة ، منذ بداية خلافة الرشيد وحتى نكبتهم عام ١٨٧هـ ، وسرعان ما ظهر الفضل بن الربيع ليشاركه إسماعيل بن صبيح في السيطرة على الرشيد [١٥٨] واستمرت سيطرتهما على أمور الدولة في خلافة الأمين حتى مقتله [١٥٩] فقد كان لهما دور بارز في فتنة الأمين والمأمون إلى جانب إدارته الكاملة للدولة ، في وقت انصرف فيه الأمين للهو .

وكان المأمون أكثر خلفاء بني العباس علما وفطنة ورغم ذلك وقع أسيراً لإرشادات الفضل ابن سهل فترة إقامته في خراسان ، وبانحدار عام ٢٠٤هـ إلى بغداد غلب عليه الحسن بن سهل ومن ثم أحمد بن أبي خالد ، وأحمد بن يوسف [١٦٠] . أما المعتصم فقد كان عاجزا إزاء قبضة أحمد بن أبي دؤاد لما كان يفتقر إليه من قلة الخبرة الإدارية والتعليم ،

لذا نراه منفّذا لوصية المأمون في شأن قضية خلق القرآن التي كان انشغاله بها سببا في عدم انصرافه إلى دولته مما جعله يفسح المجال أمام الفضل بن مروان الكاتب ليطلق يده في إداراتها ، لكنه غضب عليه فنفاه وصادر أمواله ، ليأتي محمد بن عبد الملك بن الزيات ليحل مكانه في التحكم بالإدارة[١٦١] .

ولم يكن الواثق أحسن حالا من والده ، ففي عهده ظل أثر ابن أبي دؤاد ومعه كل من محمد بن عبد الملك وعمر بن فرج الرخجي في السيطرة على أجهزة الدولة[١٦٢] ، في الوقت الذي سلك فيه الخليفة المتوكل سياسة هادئة في داخل البلاد بتخفيفه من آثار محنة خلق القرآن وفوض أمر دولته إلى عناصر تركية حيث غلب عليه الفتح من خاقان وعبيد الله بن يحيى الكاتب[١٦٣] .

ومن هنا لا نستطيع الحكم على عبارة " غلب عليه " الواردة عند اليعقوبي بأن خلفاء بني العباس قد وقعوا تحت سيطرة المقربين إليهم من وزراء وكتّاب بحيث لا يستطيعون اتخاذ أي قرار إلا بالرجوع إليهم ، ولكن يمكن القول إن هؤلاء أداروا دفة الحكم وكانوا هم الآمرون دون الرجوع إلى الخليفة ، وخير مثال على ذلك ما كان يدور حول البرامكة زمن الرشيد وهناك رواية تنطوي على جانب كبير من المبالغة مفادها أن الرشيد عجز عن النظر في شئون دولته بعد البرامكة ، فقد أهمل في فض البريد وعقب وفاته وجدت أربعة آلاف خريطة لم تفض[١٦٤] ، حتى بلغ به الأمر أن أفسح المجال لبعضهم ليعبثوا بمصالح المواطنين كوالي خراسان علي بن عيسى بن ماهان الذي أقدم على هذه السياسة مدة تسع سنوات ، فثار على هذا الوضع رافع بن الليث ، وكان الرشيد حذرا في عزل ابن ماهان الذي أخذ يدعي بقلة المال لإخماد ثورة رافع ، وحين صادره وجد من المال أكثر من ثمانين مليون درهم[١٦٥] . فابن ماهان استطاع أن يحتفظ بمنصبه هذه الفترة الطويلة عن طريق تقديم الهدايا للخليفة في عام ١٨٣هـ ، وكذلك عام ١٨٩هـ[١٦٦] ، وقد حظيت هذه الهدايا بالتقدير الكبير في نظره فرضي عن ابن ماهان[١٦٧] .

والعلة في هذا ربط الرشيد بين المال المتدفق من الأقاليم واستقراره فإذا كانت إيرادات الدولة منتظمة فالأمن مستتب إضافة على أن الخليفة كان حريصا على جمع المال ، ويروي

الصابي حديث إسماعيل بن صبيح [١٦٨] ، بأن الرشيد سأله يوما مقدار رصيده من المال فأجابه بذلك فقال : أحب أن تبلغ بنوراً[١٦٩] ، ولا يخفي علينا إهمال الخليفة الرشيد لولاية افريقيا وتركها لبني الأغلب نظير مبلغ من المال لا يتحمل عبء قمع الثائرين من الخوارج نظير أربعين ألف دينار يرسلها إبراهيم بن الأغلب إليه ، وتوليته ولاية العهد لأبنائه الثلاثة دليل واضح على أن الرشيد وجد نفسه عاجزا عن تحمل المسئولية واعتقد الآخرون كذلك فقسم الدولة عليهم ، وبمجرد وفاته اصطدمت المصالح واشتعلت فتنة الأمين والمأمون.

أما الأمين فقد بدت اتكاليته على الفضل بن الربيع ، وبلغ به تخليه عن إدارة مصالح الدولة حدا جعله لا ينظر في كتب الخراج والضياع عاما كاملا وحين ألح عليه وزيره غافله وأحرق تلك الكتب عام ١٩٨هـ[١٧٠] ، وكان من أثر اتكاليته أن شجع عماله على اختلاس مبالغ كبيرة من أموال الخراج دون أن يكتشف الأمين ذلك[١٧١] .

إن العصر العباسي الأول عصر زهي بالأحداث سالبها وموجبها ، يمكن للباحث استخلاص سمات عديدة ذات صلة بهذا العصر فقد ظهر بنو العباس للناس بأنهم أفضل خلق الله على الأرض بعد نبيه ﷺ فكان عليهم معاملة المسلمين بالمساواة الأمر الذي كان من شأنه ظهور سمة جديدة في الساحة السياسية والدينية كالأممية فلم يعتمدوا على فئة قبلية أو عرفية معينة بل تعاملوا مع الحاشية بأنهم أفراد مقربين لكفاءتهم في أغلب الأحيان وإن كان الغالب من وزرائهم من الموالي .

كما أنهم لم يتبعوا سياسة توطين المسلمين على أساس قبلي ويظهر ذلك في تسمية شوارع بغداد فأسماء شوارعها منسوبة لأفراد الحاشية قادة وإداريين من عرب وعجم [١٧٢] . وأقطع المنصور هؤلاء المسلمين القطائع بشكل فردي فأنشأوا مساكن خاصة لهم ولأتباعهم ، فحملت كل قطيعة اسم صاحبها كقطيعة العباس بن محمد ، وقطيعة الصحابة وهم من سائر قبائل العرب من قريش وأنصار ، وربيعة ومضر ، وقطيعة الربيع حاجب المنصور [١٧٣].

إن سكان بغداد كانوا مزيجا من العناصر المسلمة عربية وأعجمية ، والمهم في هذا الأمر هو أن هؤلاء كان يربطهم رباط واحد في دولتهم الجديدة ألا وهو رباط الولاء للخليفة لا الولاء للقبيلة أو العنصر أو الأقليم[١٧٤] .

كما يتبين للباحث سمة انتشار الظرف والرقة والمجون في هذا العصر الزاهر نتيجة استقرار الوضع الأمني والسياسي والاقتصادي ، فوجدت الثقافات غير العربية متسعا لنقل تراثها للعربية فتأثر العرب بهم ، كما نشطت حركة التنقل بين الأمصار الإسلامية وكثرة الرقيق فكان ببغداد شارع خاص لبيع الرقيق يقوم عليه موظف يسمي قيم الرقيق[١٧٥] .

وربما أثرت كثرة الجواري والأماء من أجناس وديانات وحضارات مختلفة في المجتمع العباسي تأثيراً واضحاً ، حيث امتدت آثارهن إلى قصور الخلفاء ، بدليل أن أكثر خلفاء بني العباس من أبنائهن ، فالمنصور أمه حبشية ، والخيزران والدة الهادي والرشيد رومية[١٧٦] ، والمأمون أمه مراجل فارسية ، ووالدة المعتصم ماردة التركية ، وأم الواثق قراطيس الرومية[١٧٧] ، ونتيجة للإزدهار بشكل عام في العصر العباسي الأول نجد الخمر تقترن بالغناء والرقص وظهرت حانات كبيرة للشرب ، روادها الشعراء وغيرهم . ومن أشهر تلك الدور دار ابن رامين في الكوفة[١٧٨] ودار أبي الاصبغ[١٧٩] ، ودار إسماعيل القراطيس المقين في بغداد وكانت مألفا لأبي نواس والحسين بن الضحاك وأبي العتاهية وغيرهم[١٨٠] .

كما أن الأديرة أخذت تقدم لروادها الخمر ، وهذه الأديرة كانت كثيرة حول بغداد وغيرها من المدن العراقية ، لذا وجد الشعراء مكانا ملائما لقضاء حاجتهم فيها ، وقد وضع الشابستي دور هذه الأديرة في هذا المجال ، ومما ذكره دير زرارة خارج بغداد كثير الحانات ، وإن يحيى بن زياد ومطيع بن أياس خرجا حاجين فلما اقتربا من دير زرارة أقاما فيه للشرب ولم يتركا المكان إلا بعد بدء رجوع الحجاج من أداء الفريضة ، لذا دخلا الكوفة مع الحجاج دون أداء الفريضة فأنشد مطيع بن أياس قائلاً :

ألم ترني ويحيى إذ حججنا ... وكان الحج من خير التجارة
خرجنا طلبى حج وديـن ... فمال بنا الطريق إلى زرارة
فآب الناس قد غنموا وحجوا ... وأبنا موقرين من الخسارة[١٨١]

ومنها يتضح لنا مما تقدم أن العصر العباسي الأول ينطوي على سمات تميزه عن ما دونه من سائر العصور ، ولخص ابن طباطبا ذلك بأنها دولة كثيرة المحاسن جمعة المكارم أسواق العلوم فيها قائمة وبضائع الآداب ، فيها نافعة وشعائر الدين ، فيها معظمة والخيرات فيها دارة والدنيا عامرة والحرمات مرعية والثغور محصنة .

الهوامش

(١) معجم العلوم الاجتماعية ، نخبة من الأساتذة ، ٣٢٠ .

(٢) مجهول ، أخبار الدولة العباسية وفيه أخبار العباس وولده ، تحقيق عبد العزيز الدوري ، ١٧٩ .

(٣) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ١٧٩ ، ٢٩٢ ، اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢/٢٩٧، فخر الرازي ، الشجرة المباركة في أنساب الطالبيين ، ١٨٠ .

(٤) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، جـ ٥/٥٢ .

(٥) مجهول ، أخبار الدولة العباسية ، ١٨٥ . التنبيه والإشراف ، ٥٩٣ . تاريخ اليعقوبي ، جـ ٢/٢٩٨ . لقد نسب إلى الإمام علي بن أبي طالب كتاب الجفر ، بيروت ، المكتبة الحديثة ، (ب ، ن) .

(٦) أخبار الدولة العباسية ، ١٩٩ ، ابن حجر ، الصواعق المحرقة ، ١٦٤ . ابن حجر ، تطهير الجنان واللسان ، ٦٥ .

(٧) أوصى محمد بن علي زياد أبو محمد مولى همدان وهو أحد دعاة بني العباس أثناء ولاية اسد بن عبد الله على خراسان بأن يعتزل مجالس غالب النيسابوري لأنه كان مفرطاً في حب بني فاطمة ، ابن الأثير ، ح ٥/١٤٣ . أما الطبري فقد سمي المتسبع بأنه غالباً من ابرشهر ، الطبري ح٧/٤٩ . ويلمح غيره بان محمد بن علي قد حذر ابا عكرمة السراج من مخالطة هؤلاء ، مجهول ، أخبار الدولة العباسية ، ٢٠٤ .

(٨) نهى محمد بن علي شيعته من الانضمام لثورة زيد بن علي عام ١٢٢ هـ ، أخبار الدولة العباسية، ١٣١ ، ٢٠٠ . وقد بلغ هذا الأمر بكير بن ماهان أنصار الدعوة ببلخ ، أخبار الدولة العباسية ، ٢٤٢ .

(٩) أخبار الدولة العباسية ، ١٩٩ ، ٢٠٧ ، ٢٤٥ .

(١٠) سورة الحج ، آية ٢٩ ، مرتضى مطهري ، الإسلام وإيران ، ٢٨١ .

(١١) الطبري ، ح ٧ /٣٥٦ . ابن الأثير ، ج٥/٣٥٨ . ويرجع ابن خلدون اختيار العباسيين للسواد إلى حزنهم على شهدائهم من بني هاشم ، ابن خلدون ح١/٢٥٩ .

(١٢) سورة الحجرات آية ١٣ .

(١٣) مرتضى مطهري ، الإسلام وإيران ، ٢٨٢ .

(١٤) أخبار الدولة العباسية ، ٢٠٧ . الاربلي ، خلاصة الذهب المسبول مختصر من سير الملوك ، ٥٤ .

(١٥) أخبار الدولة العباسية ، ٢٢٤ ، ٢٣٧ .

(١٦) أخبارالدولة العباسية ، ٢٩٢ ، ٣١٧ ، لقد أعطى الأمان لمن يبايعه على كتاب الله وسنة رسوله، أثناء فتح جرجان ، المصدر السابق ٣٢٩ ، وفتح أبهر ، المصدر السابق ٣٢٥ ، والكوفة نفس المصدر ٣٦٥ ، وانظر عطوان ، الدعوة العباسية مباديء وأساليب ، ١٢٢ .

(١٧) اتهم رؤساء نقباء بني العباس بالتسيع وفي مقدمتهم أبو سلمة الخلال وسليمان بن كثير الخزاعي، وهذا يدعوا إلى الاعتقاد بأنهم لم يعلموا بأن الدعوة عباسية خالصة .
اليعقوبي ، ٣٤٩/٢ ، ابن الأثير ، ٤٣٦/٥ ، ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ١٤٢/٢ .

(١٨) يظهر الغموض لشخصية صاحب الدعوة حتى عند دخول الجيش العباسي الكوفة ، فقد انضم محمد بن خالد القسري ، للدعوة وخلع مروان بن محمد وقال : " إن الله قد أكرمكم بهذه الدعوة المباركة ، وقد طلبها الأبناء بعد الآباء ، فحرموها حتى ساقها الله إليكم " . أخبار الدولة العباسية ، ٣٦٨ ، وفي موضع آخر قال : " اللهم اصلح الإمام من آل محمد " ولم يذكر اسمه ، أخبار الدولة العباسية ٣٧٣ ، الطبري ، جـ ٤١٧/٧ ، تاريخ اليعقوبي ، جـ٣٤٥/٢ .
وقد تولى محمد بن خالد المدينة عام ١٤١ - ١٤٣هـ ، ثم عزله المنصور بتهمة الاهمال في القبض على النفس الزكية وتبذير الأموال ، انظر الطبري ، جـ ٥٣١/٧ . ابن الأثير ، جـ ٥/ ٣٥٥ . تاريخ ابن الخياط ، ٤٠٦ .

(١٩) المسعودي ، مروج الذهب ، جـ ٢٦٦/٣ .

(٢٠) الطبري ، جـ ٤٢٥/٧ .

(٢١) سورة الشورى ، آية ٢٣ .

(٢٢) وقد طبع أبو مسلم هذه الآية على ماسكه في خراسان ، انظر ، الدوري النظم الإسلامية ، ٤٥ ، الاربلي ، الذهب المسبول ، ٥٥ .

(٢٣) الاربلي ، الذهب المسبول ، ٥٥ . الطبري ، جـ ٤٢٨/٧ .

(٢٤) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، جـ ٩٩/٤ . الآبي ، نثر الدر ، جـ ٣ /٨٧ .
Lewis, Bernard, The Arabs in History, 3rd edition, Hutchinson's University Library, London, 1956. P.83.

(٢٥) ابن عبد ربه ، العقد الفريد جـ ٩٧/٢ - ١٠٧ . الذهبي ، تاريخ الإسلام ، جـ ٢١٤/٥ ، ابن الأثير ، جـ ٣٤٨/٤ .

(٢٦) هي البردة التي أعطاها النبي ﷺ لكعب بن زهير حين أنشده ، وقيل إن أبا سلمة اشتراها بأربعة مائة دينار ودفعها إلى السفاح عندما بويع ، وكان معاوية قد اشتراها بأربعة آلاف ، وقد وجدت هذه البردة في صندوق مع مروان بن محمد، فقيل بأنها حملت للسفاح ، مجهول ، العيون والحدائق ، ٢٠٨ .

(٢٧) الأربلي ، الذهب المسبول ، ٥٤ .

(٢٨) الأربلي ، الذهب المسبول ، ١٠٠ ، ابن مسكويه ، تجارب الأمم ، جـ ٤١٦/٦ .

(٢٩) الجاحظ ، البيان والتبيين ، جـ ٤٩/٣ .

(٣٠) الجاحظ ، البيان والتبيين ، جـ ٨٢/٣ .

(٣١) الجاحظ ، البيان ، جـ ٨٣/٣ .

(٣٢) المسعودي ، التنبيه والأشراف ، ٢٩٠ .

(٣٣) الذهب المسبول ، ١٠٠ . تاريخ اليعقوبي ، جـ ٢/ ٤٠٠ .

(٣٤) الذهب المسبول ، ١٠٦ ، الآبي ، نثر الدر ، جـ ٣/ ٩٥ .

(٣٥) السيوطي ، تحفة المجالس ونزهة المجالس ، ١٣٨ .

(٣٦) الخطيب ، تاريخ بغداد ، جـ ٣٢٩/١٣ ، عرنوس ، تاريخ القضاة ، ١٧٣ ، الصيمري ، أخبار أبي حنيفة النعمان ، ٦٢ .

(٣٧) ابن قتيبة ، عيون الأخبار ، جـ ٣٧٧/٢ ، أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، جـ ٨٣/٣ .

(٣٨) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، جـ ١٤٥/٢ ، الجوزي ، صفة الصفوة ، جـ١٧٥/٢ .

(٣٩) أحمد زكي ، رسائل العرب ، جـ ٣١٧/٣ .
كان عمارة بن حمزة كاتب المنصور والمهدي يكتب رسائل الخميس ، انظر ابن النديم الفهرست ، ١٧١ ، وتولى تحرير رسائل الخميس أحمد بن يوسف في خلافة المأمون لبث دعاية الدولة العباسية وللاحتجاج له عن قتل الأمين ، رسائل العرب ، جـ ٣١٨/٣ ، وكان إبراهيم بن المهدي قد تولي الخلافة بتأييد من العباسيين فكتب أيضاً رسالة تتلى يوم الخميس ، وحرر إبراهيم بن العباس رسالة الخميس في عهد المتوكل ، انظر شوقي ضيف ، العصر العباسي الأول ، ٥٤٥ .

(٤٠) ابن طباطبا ، الفخري في الآداب السلطانية والدولة الإسلامية ، ١٢٧ .

(٤١) نفس المرجع ، ١٢٤ .

(٤٢) المسعودي ، مروج الذهب ، جـ ٣٢٥/٣ ، الدوري ، النظم الإسلامية ، ٤٧ .

(٤٣) الطبري ، جـ ٨ /١٥٦ . وانظر ابن الأثير ، ٧٠/٦ .

(٤٤) الدوري ، النظم الإسلامية ، ٤٧ .

(٤٥) البيهقي ، المحاسن والمساوىء ، ٥٠٧ .

(٤٦) Osman, Al - Bili, p. 38.

(٤٧) Lewis, B., abid, p. 83.

(٤٨) قيل بان شديف مولي بني العباس وشاعرهم ، وقيل مولي لامرأة من بني خزاعة ، ابن قتيبة، طبقات الشعراء ، ٤٧٩، وقيل بأنه مولي لزين العابدين ، شذرات الذهب ، جـ١٨٧/١ ، والمرجح القول الأخير فقد ساهم في ثورة النفس الزكية ، فكتب المنصور لوالي المدينة عبد الصمد بن علي يأمره بقتله ، فقيل أنه دفن حياً ، ابن قتيبة ، طبقات الشعراء ، ٤٨١ .

(٤٩) شذرات الذهب ، جـ ١٨٧/١ ، وقيل بأن سديف أنشد :

لا يغرنك ما ترى من الرجال ... إن تحت الضلوع داء دوياً
فضع السيف وارفع السوط حتى ... لا ترى فوق ظهرها أمويا

ابن الأثير ، ٤٢٩/٥ .

(٥٠) هو يعمر ، إنما كني بأبي نخيله لأن أمه ولدته إلى جانب نخلة ، وهو من بني حمان بن كعب، ابن قتيبة ، الطبقات ، ٣٨١ .

(٥١) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١٨/١٥١ .

(٥٢) الصابي ، الهفوات النادرة ، ٨٦ ، الطبري ، جـ ٨/٢١ .

(٥٣) نفس المرجع السابق .

(٥٤) نفس المرجع السابق .

(٥٥) شوقي ضيف ، العصر العباسي الأول ، ٢٩٣ ، وهناك اختلاف في روايات أبيات القصيدة ، انظر الطبري ، جـ ٨/٢١ ، الهفوات النادرة ، ٨٧ ، الأغاني ، جـ ١٨/١٥٣ .

(٥٦) الأغاني ، جـ ٩/١٤٨ ، تاريخ بغداد ، جـ ١٣/١٧٨ .

(٥٧) ابن المعتز ، طبقات الشعراء ، ١٠٤ ، الاشعري ، مقالات الإسلاميين ، جـ ١/١٩ .

(٥٨) ابن المعتز ، طبقات الشعراء ، ١٠٤ ، شوقي ضيف ، العصر العباسي الأول ، ٣٠٣ .

(٥٩) الطبري ، جـ ٨/٨٣ ، الاربلي ، الذهب المسبوك ، ١٠٠ .

(٦٠) الثعالبي ، لطائف المعارف ، ١٣١ .

(٦١) سورة (ص) آية ٣٦ ، وذكره في آيات سورة الأنبياء ، آية ٨١ ، وسورة سبأ ، الآية ١٢ .

(٦٢) الطبري ، جـ ٨/٢٣٤ ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، جـ ٢/٣٥١ ، الجرمود ، هارون الرشيد ، جـ ١/١٧٠ .

(٦٣) الطبري ، جـ ٨/٢٤٠ .

(٦٤) الطبري ، جـ ٨/٢٧٦ ، وذكر غيره في نفس المعنى ، الطبري ، جـ ٨/٣٦٣ .

(٦٥) الطبري ، جـ ٨/٤١١ .

(٦٦) الطبري ، جـ ٨/٦٦٢ ، طبغور ، ١٦٨ .

(٦٧) ابن قتيبة ، الطبقات ، ٤٨١ ، ابن المعتز ، طبقات الشعراء ، ٤٢ .

(٦٨) سورة الأنفال ، آية ، ٧٥ .

(٦٩) تاريخ بغداد ، جـ ١٣/١٤٣ ، الأغاني ، جـ ٩/٤٤ ، شوقي ضيف ، ٢٩٩ .

(٧٠) تاريخ بغداد ، جـ ١٣/١٤٤ ، ابن قتيبة ، طبقات الشعراء ، ٤٨٢ ، الأغاني ، جـ ٩/ ٤٨ ، الثعالبي ، لطائف المعارف، ٧٢ ، بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، جـ ٢/٢٩٩ ، شوقي ضيف، العصر العباسي الأول ، ٣٠٠ .

(٧١) تاريخ الأحمدي ، ٣٤١ ، وفيات الأعيان ، جـ ٥/٣٠٩ ، تاريخ بغداد ، ١٣/٢٧ ، ٣١ ، ابن حجر ، الصواعق المحرقة ، ٢٠٤ .

(٧٢) الفخري في الآداب السلطانية ، ١٢٤ .

(٧٣) EN, Britannica, Port. I,vol. 1,p.10.

(٧٤) حتى انهم ساروا على النمط الامبراطوريات التقليدية في الشرق فيما يخص ببناء العواصم لإقامة جنودهم وهيئات إداراتهم ، مثل الساسانيين .

IRA. M, LAPIDUS, Ahistory of Islamic Societies, Cambridge University Press, 1991, p . 69 - 70.

(٧٥) الجاحظ ، البيان والتبيين ، جـ ٢١٧/٣ .

(٧٦) الدوري ، العصر العباسي الأول ، ٣٦ ، فاروق عمر ، العباسيون الأوائل جـ٢٩/٢ .

LEWIS, The Arabs In History, p . 81 .

(٧٧) فان فلوتن ، السيادة العربية ، ١٣٤ .

(٧٨) الطبري ، جـ ٤٢٧/٧ .

(٧٩) B. Lewis, E. I^2, Vol. I, P.19 .

(٨٠) وضح ذلك المنصور في خطبته بعد اعتقال آل الحسن عام ١٤٤هـ ، الطبري ، جـ ٩٢/٨ . وكذلك في وصيته للمهدي فقد خص الخراسانيين جانبا كبيراً ، الطبري ، جـ ١٠٣/٨ . الدوري ، العصر العباسي الأول ، ٣٧ .

(٨١) المسعودي ، التنبيه والإشراف ، ٢٩٤ .

(٨٢) الثعالبي ، تحفة الوزراء ، ٧٩ .

(٨٣) ابن طباطبا ، الفخري، ١٣٧ ، ١٥٧ ، ١٦٦، ١٧٧ ، ٢٠٢ ، وانظر تحفة الوزراء ، ١١٨ - ١٢٠ .

(٨٤) الجاحظ ، البيان والتبيين ، جـ ٢٢٥/٣ .

(٨٥) الطبري ، جـ /٦٤٩ . التنبيه والأشراف ، ٣٠٤ .

(٨٦) الخدمة : تختلف بين أن تكو ن بانحناء الرأس والتضامن والبلوغ إلى حد الركوع . أما التقبيل : فهو تقبيل الأرض بين يدي الخليفة أو السلطان ، الثعالبي ، تحفة الوزراء ، ٧٥ . جرجي زيدان، تاريخ التمدن ، جـ ٦٧٠/٢ .

(٨٧) الصابي ، رسوم دار الخلافة ، ١٣٠ .

(٨٨) الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، ٣١٦ .

(٨٩) النيروز : أول يوم من أيام السنة الشمسية ، وقد أجمعت الفرس أن جم الملك أول من اتخذ النيروز عيداً وجعل تعظيمه ديناً ، العسكري ، الأوائل ، ٤١١ .

(٩٠) المهرجان : معناه سلطان الوفاء سن هذا العيد افريدون حين انتصر على الضحاك ، العسكري، الأوائل ، ٤١٣ .

(٩١) الجاحظ ، التاج في أخلاق الملوك ، ١٤٦ ، وكان ملوك الفرس يعتبرون هدايا النيروز والمهرجان من حقهم ولم يظهر هذا الأمر عند العباسيين .

(٩٢) حسن إبراهيم ، تاريخ الإسلام ، جـ ٤٣٩/٢ .

(٩٣) القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ ١٢٣/٢ .

(٩٤) المسعودي ، مروج الذهب ، جـ ٣٢٦/٣ .

(٩٥) ابن الزبير ، التحف والذخائر ، ٢٨ . الإبريسم : الحرير قبل أن يخرقه الدود . أتان : وهي الحمارة . انظر الخالدين ، التحف والهدايا ، ١٠٩ .

(٩٦) ابن طباطبا ، الفخري ، ٥٧ .

(٩٧) الجاحظ ، التاج ، ١٤٨ .

(٩٨) الشابستي ، الديارات ، ٥٧ .

(٩٩) الجشهياري ، الوزراء ، ٣ .

(١٠٠) المبطنة : ضرب من الارية يلبس فوق الثياب له بطانة قوية ثخينة .

(١٠١) الدراعة : جبة فارسية مشغوفة المقدم .

(١٠٢) القباء : ثوب فارسي قصير .

(١٠٣) البازيكند : كساء يلقى على الكتف .

(١٠٤) الجرز : آلة من حديد يضرب بها .

(١٠٥) الجاحظ ، البيان والتبيين ، جـ ٧٨/٣ ، شوقي ضيف ، العصر العباسي الأول ، ٢٥ .

(١٠٦) الطيلسان : كساء أخضر ، لحمته أو سداه من صوف يلبسه الخواص من العلماء والمشايخ .

(١٠٧) القراقفات : جمع قراقف ، وهي القلانس المستديرة الضخمة التي تلبس في الرأس وكانت ملبوس الفقهاء والقضاة في عهد العباسيين .

(١٠٨) الصابي ، رسوم دار الخلافة ، ٩١ ، ٩٢ .

(١٠٩) ابن خلدون ، ٢٥٤/١ .

(١١٠) المقصود بالكرسي العرش ، فقيل بأن المأمون حينما أدخل عليه الفضل بن الربيع وثب من عرشه، طيفور ، بغداد ، ١٤، وقيل أيضاً بعد وفاة المعتصم جلس الواثق على سرير الخلافة ، ابن طباطبا ، الفخري ، ٢١٤ .

Lewis, The Arabs, P.83.

(١١١) الصابي ، رسوم دار الخلافة ، ٩٠ .

(١١٢) الجاحظ، التاج ، ٧ .

(١١٣) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، جـ ١٢٨/٢ ، وقد كره المهدي تقبيل اليد ، وكذلك المأمون فقد كان يرى بأنها مذلة للمسلم وخديعة من الزمن .

(١١٤) الصابي ، رسوم دار الخلافة ، ٣١ .

يوضح آخر ، بأن تقبيل الأرض إذا كان الملك راكبا ، والعتبة إذا كان جالسا ومنهم من يرى تقبيل البساط ومنهم من يرى الانحناء في الخدمة كالركوع ، أما تقبيل اليد عند القدوم وعند البيعة وعند العفو ، وعند تجديد الإحسان ، الحسن بن عبد الله ، آثار الأول ، ٦٠ .

(١١٥) الجاحظ ، التاج ، ٢٨ .

(١١٦) نفس المرجع ، ٣٢ .

(١١٧) التاج ، ٣٣ ، العسكري ، الأوائل ، ٢٦١ .

(١١٨) الجاحظ ، التاج ، ٣٤ .

(١١٩) الجاحظ ، التاج ، ٣٥ ، العسكري ، ٢٦٠ .

(١٢٠) الجاحظ ، التاج ، ٣٧ .

(١٢١) الصابي ، رسوم دار الخلافة ، ٩٦ .

(١٢٢) معجم المصطلحات الاجتماعية ، ٣٠ . انظر مقدمة ابن خلدون ، ١٨٥ - ١٨٦ .

(١٢٣) ابن حجر ، تطهير الجنان واللسان ، ٦٠ ، الحديث كان موجها لعمرو بن حزم الأنصاري.

(١٢٤) أخبار الدولة العباسية ، ٢٣٠ - ٢٣١ .

(١٢٥) المصدر السابق ، ٢٠٤ ، الطبري ، جـ ٤٩/٧ ، فقد حذره من غالب وهو من ابرشهر فقد كان هذا مفرطا في حب بني فاطمة ، ويذكر ابن الأثير بأنه من نيسابور ، ابن الأثير ، جـ ١٤٣/٥ .

(١٢٦) هناك اختلاف في الروايات بين مبايعة محمد بن عبد الله بالزعامة والرفض له ، انظر ، البداية والنهاية ، جـ ٨٠/١٠ . الأصفهاني ، مقاتل الطالبيين ، ٢٠٦ ، أخبار الدولة العباسية، ٣٨٦ ، ٣٨٨ .

(١٢٧) ابن الأثير ، جـ ٤١٠/٥ ، أبو الجهم من دعاة بني العباس وهو الذي أخرج أبا العباس من مخبئه وبايعه بالخلافة ، وقبل تولي الوزارة في عهد السفاح ، ابن طباطبا ، ١٣٦ .

(١٢٨) رسائل العرب ، جـ ٤٨٤/٣ ، الدوري ، النظم الإسلامية ، ٤٧ .

(١٢٩) الجهشباري ، الوزراء ، ١٣٦ ، ١٣٧ . ابن طباطبا ، ١٣٩ . المسعودي ، مروج الذهب ، جـ٣٠١/٣ . ويذكر الجاحظ في قتل المنصور للخراساني " فلما هم بقتل أبي مسلم سقط بين الاستبداد برأيه والمشاورة فأرق من ذلك ليلته . الجاحظ، البيان والتبيين جـ ٣/ ٢١٨ .

(١٣٠) البيهقي ، المحاسن والمساوىء ، ٥٠٧ .

(١٣١) Lewis, E., 12, Vol, I, p. 16.

(١٣٢) الطبري ، جـ٤٥٤/٧ . وفيات الأعيان ، جـ ٢١٩/٦ . سميره الليثي ، جهاد الشيعة ، ١٠٧ .

(١٣٣) شذرات الذهب جـ ٢١٩/١ . وقيل الذي كتب للأمانة هو ابن المقفع وتشدد فيه فقال من مضمون الأمان " ومني غدر أمير المؤمنين بعمه عبد الله بن علي ، فنساءه طوالق ، وعبيده أحرار ، والمسلمون في حل من بيعته ، ١١ ابن خلكان، جـ١٥/٢ .

(١٣٤) الطبري ، جـ ٢٤٣/٨ ، العصامي ، سمط النجوم العوالي ، ج٢٧٨/٣ . العيون والحدائق ، ٢٩٢ .

(١٣٥) ابن طباطبا ، الفخري ، ١٣٢ .

(١٣٦) الصيمري ، أخبار أبي حنيفة ، ٦٢ . الشعراني ، مناقب الأئمة ، ٧ . الذهبي ، مناقب أبي حنيفة ، ١٦ . تاريخ بغداد ، جـ ٣٢٨/١٣ . ابن الأثير ، جـ ٥٥٩/٥ .

(١٣٧) البيهقي ، مناقب الشافعي ، جـ ١٥٢/١ . مصطفى مني ، رحلة الإمام الشافعي ، ٤٩ .

(١٣٨) Osman Al-Bili, Atale of two Cities, p.38.

(١٣٩) Patton Waltr. M. Ahmed the mihna. Leiden. 1897.

(١٤٠) تاريخ بغداد ، جـ ٣٩٣/٥ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١٥٣/١٠ . الذهب المسبوك ، ٩١ .

(١٤١) الطبري ، جـ ١٦٧/٨ .

(١٤٢) الأغاني،جـ ١٩٩٧/٢٣ .طيفور، بغداد، ١٦٠ . نهاية الأرب ، ١٨٨/٢٢ .

(١٤٣) العيون والحدائق ، ٢٣٢ . ابن دقماق ، الجوهر الثمين ، جـ ١١٤/١ . الذهب المسبوك ، ٥٥ .

(١٤٤) الذهب المسبوك ، ٧٨ . الشيبي ، مؤرخ العراق ، جـ ١٠٢/١ .

(١٤٥) قدامة بن جعفر ، الخراج ، ٣٧٦ .

(١٤٦) تاريخ بغداد ، جـ ١٠ /١٧٥ .

(١٤٧) الطبري ، جـ ٢٥/٨ . العيون والحدائق ، ٢٦٠ . الجهشياري ، ١٢٧ ، اليعقوبي جـ٢٩٥/٢ . ابن الأثير ، جـ ٥٥/٥ . الذهبي ، تاريخ الإسلام ، جـ ٣١/٦ .

(١٤٨) الشابستي ، الديارات ، ١٥٦ ، ١٥٧ . ابن خلكان ، جـ ٣١٥/٢ .

(١٤٩) تاريخ بغداد، جـ ١٦٠/٩ . الذهب المسبوك، ٩٨ . ابن خلكان، جـ ٣٨٧/٢ .

(١٥٠) ابن الزبير ، الذخائر والتحف ، ٢١٨ ، ٢٢٠ . أورد المبلغ بالدنانير وتحويلها إلى دراهم بسعر الصرف ٢٢ درهم للدينار.

(١٥١) الدوري ، النظم الإسلامية ، ٤٨ .

(١٥٢) تاريخ اليعقوبي ، جـ ٣٦١/٢ .

(١٥٣) نفس المصدر ، جـ ٤٨٤/٢ .

(١٥٤) اليعقوبي ، جـ ٤٨٩/٢ . وقيل أبو أيوب المورياني نسبه إلى موريان ، وهي قرية من قرى الأهواز . ابن طباطبا ، ١٥٧ .

(١٥٥) اليعقوبي ، جـ ٢/ ٤٠٠ . ويذكر ابن طباطبا " فكان غالباً على أمور المهدي لا يعصي له قولا ... وجلس المهدي على سرير الخلافة وفوض إليه تدبير المملكة وسلم إليه الدواوين " ١٦٣ .

(١٥٦) نفس المصدر ، ١٧٣ .

(١٥٧) اليعقوبي ، جـ ٢/ ٤٠٦ .

(١٥٨) اليعقوبي ، جـ ٢/ ٤٢٩ .

(١٥٩) اليعقوبي ، جـ ٢/ ٤٤٢ .

(١٦٠) اليعقوبي ، جـ ٢/ ٤٧٠ .

(١٦١) اليعقوبي ، جـ ٢/ ٤٨٣ .

(١٦٢) اليعقوبي ، جـ ٢/ ٤٧٨ .

(١٦٣) اليعقوبي ، جـ ٢/ ٤٩٢ .

(١٦٤) الجهشباري ، الوزراء ، ٢٥٤ . المسعودي ، التنبيه والإشراف ، ٢٩٩ .

(١٦٥) الطبري ، جـ ٨/ ٣٢٨ . الجهشباري ، ٢٢٨ . ابن الأثير جـ ٥/ ١٢١ . تاريخ البيهقي ١٤٧ - ٢٤١ . العيون والحدائق ، ٣١٣ .

(١٦٦) الطبري ، جـ ٨/ ٢٧٠ .

(١٦٧) الطبري ، جـ ٨/ ٣١٤ .

(١٦٨) من أهل حران تولي كتابة الرسائل ثم ضم إليه ديوان الخراج والجند ، تاريخ ابن الخياط ، ٤٦٥ .

(١٦٩) والبنور ألف ألف ألف ، الصابي ، رسوم دار الخلافة ، ٢٩ .

(١٧٠) الجهشياري ، الوزراء ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، الصابي ، رسوم دار الخلافة ، ٢٩ .

(١٧١) رسوم دار الخلافة ، ٣٩ - ٤٠ .

(١٧٢) اليعقوبي ، البلدان ، ٢٤٠ - ٢٤٩ ، ابن الفقيه ، بغداد مدينة السلام ، ٤٤ .

(١٧٣) اليعقوبي ، البلدان ، ٢٤٢ ، ويذكر لسترنج أن قطيعة الربيع بن يونس أصبحت أخيراً إحدى المحلات المزدحمة بالسكان من ربض الكرخ ، مع أن أفراد أسرة الربيع انقرضوا تماماً، وانتقلت أملاكهم إلى أيدي غيرهم من الناس ، لسترنج ، بغداد ، ٦٠ .

(١٧٤) فاروق عمر ، العباسيون الأوائل ، جـ ٢/ ٣١ .

(١٧٥) شوقي ضيف ، العصر العباسي الأول ، ٥٦ .

(١٧٦) قيل أن الخيزران يمانية جرشية ، الطبري ، ٨/ ٢٣٠ ، تاريخ بغداد ، ١٤/ ٥ .

(١٧٧) نفس المرجع ، ٥٨ .

(١٧٨) الشابستي ، الديارات ، ٢٤٨ .

(١٧٩) نفس المرجع السابق ، ٢٥٤ .

(١٨٠) شوقي ضيف ، العصر العباسي الأول ، ٦٨ .

(١٨١) الشابستي ، الديارات ، ٢٤٨ .

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر :

١ - الآبي :منصور بن الحسين (ت ٤٢١هـ)، نثر الدرّ ، تحقيق محمد علي قرنه وعلي محمد البنجاوي ، الهيئة المصرية للكتاب .

٢ - ابن الاثير : علي بن أبي الكرم محمد الشيباني (ت ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ ، دار صادر، بيروت ، ١٩٧٩م .

٣ - الأصفهاني :أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد (٢٨٤ - ٣٥٩هـ)، مقاتل الطالبيين ، تحقيق أحمد صقر ، القاهرة ، ١٩٤٩ : ، الأغاني ، طبعة بولاق ، بيروت .

٤ - الاربلي : عبد الرحمن بن سنبط قتيتو . ت ٧١٧ هـ)، الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك، بغداد .

٥ - الأشعري :أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت ٣٣٠هـ)، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، تحقيق محمد عبد الحميد ، طبعة أولى ، مصر ، ١٩٥٠ .

٦ - البيهقي : إبراهيم بن محمد ، المحاسن والمساوىء ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٠ .

٧ - البيهقي : أبو بكر أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨ هـ)، مناقب الشافعي ، طبعة أولى، بيروت ، ١٩٧١ .

٨ - التنوخي :أبو علي الحسن بن أبي القاسم (٣٢٧ - ٣٨٤ هـ)، الفرج بعد الشدة، طبعة أولى ، القاهرة ، ١٩٥٥ .

٩ - الثعالبي : عبد الملك بن محمد بن إسماعيل ، (٣٥٠ - ٤٢٩ هـ)، لطائف المعارف ، مصر ، ١٩٦٠ .

تحفة الوزاء ، بغداد ، ١٩٧٧ .

١٠- الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب ، أخلاق الملوك ، طبعة أولى ، الأميرية ، القاهرة ، ١٩١٤ .

البيان والتبيين ، القاهرة ، ١٩٣٢ .

١١- ابن حجر : أحمد بن حجر الهيثمي (٨٨٩ - ٩٧٤هـ)، " الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة " ويليه كتاب " تطهير الجنان واللسان " ،طبعة ثانية، القاهرة ، ١٩٦٥ .

١٢- الحسن بن عبد الله : آثار الأول في ترتيب الدول ، مصر ، ١٢٩٥ .

١٣- الجهشياري ، أبو عبد الله محمد بن عبدوس : الوزراء والكتّاب ، طبعة ثانية ، القاهرة ، ١٩٨٠.

١٤- ابن الجوزي : جمال الدين أبي الفرج (٥١٠ - ٥٩٧)، صفة الصفوة ، طبعة أولى ، حلب ، ١٩٦٩ .

١٥- الخالدين ، محمد وأبو عثمان سعيد ابني هاشم الخالدي ، التحف والهدايا ، دار المعارف بمصر ، ١٩٥٦ ، تحقيق سامي الدهان .

١٦- الخطيب ،أحمد بن علي البغدادي (٤٦٣ هـ) ، تاريخ بغداد ، دار الكتاب العربي، بيروت .

١٧- ابن خلكان ، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (٦٠٨ - ٦٨١ هـ) وفيات الأعيان ، دار الثقافة ، بيروت .

١٨- ابن الخياط ، خليفة بن خياط .تاريخ خليفة بن الخياط ، حققه أكرم ضياء العمري، طبعة ثانية، بيروت ، ١٩٧٧ .

١٩- ابن دقماق - إبراهيم بن محمد بن أبو مر العلائي (ت ٨٠٩ هـ) ، الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين ، تحقيق محمد كمال الدين ، طبعة أولى بيروت ١٩٨٥.

٢٠- الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ)، تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والإعلام ، مكتبة القدس ، القاهرة ،١٣٦٩ .

٢١- الرازي ، فخر الرازي ، ت ٦٠٦ هـ) ، الشجرة المباركة في أنساب الطالبيه ، قم ، إيران ، ١٤٠٩هـ .

٢٢- السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١ هـ)، تحفة المجالس ونزهة المجالس، طبعة أولى ، السادة ، مصر ، ١٩٠٨ .

٢٣- الشابستي ، أبو الحسن علي بن محمد (ت ٣٨٨ هـ)، الديارات ، تحقيق كوركيس عواد ، طبعة ثانية ، بغداد ، ١٩٦٦ .

٢٤- الصابي ، أبو الحسن محمد بن هلال (ت ٤٨٠ هـ)

- تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء ، مصر ، ١٩٥٨

- الهفوات النادرة ، دمشق ، ١٩٦٧

- رسوم دار الخلافة ، بغداد ، ١٩٦٤

٢٥- الصيمري ، حسين علي (ت ٤٣٦ هـ)، أخبار أبي حنيفة النعمان ، طبعة ثانية ، بيروت ، ١٩٧٦

٢٦- ابن طباطبا ، محمد بن علي المعروف بابن الطقطقا ، الفخري في الآداب السلطانية والدولة الإسلامية ، بيروت ، ١٩٨٠ .

٢٧- الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (٢٢٤ - ٣١٠ هـ)، تاريخ الرسل والملوك ، طبعة رابعة ، دار المعارف ، مصر .

٢٨- ابن طيفور ، أبو الفضل أحمد بن طاهر (ت ٢٨٠) ،" بغداد " ، مصر ١٩٤٩ .

٢٩- ابن عبد ربه ، أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي العقد الفريد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٨٣ .

٣٠- العسكري ، أبو هلال العسكري الأوائل ، تحقيق محمد الوكيل ، طبعة أولى ، مصر ، ١٩٨٧ .

٣١- العصامي ، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك ، (١٠٤٩ - ١١١١هـ) ، سمط النجوم العوالي في سيرة الأوائل والتوالي،المطبعة السلفية ، القاهرة، ١٣٨٠ هـ .

٣٢- ابن العماد ، عبد الحي بن العماد الحنبيلي ، (ت ١٠٨٩ هـ) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، دار الآفاق ، بيروت .

٣٣- ابن الفقيه ، أحمد بن اسحاق بن إبراهيم الهمداني ، بغداد مدينة السلام ، طبعة أولى ، بغداد ، ١٩٧٧ .

٣٤- ابن قتيبه ، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ)

- طبقات الشعراء ، ليدن ، ١٩٠٢

- الإمامة والسياسة ، الحلبي ، مصر

- عيون الأخبار ، دار الكتب ، مصر ١٩٢٥

٣٥- قدامة ، أبو الفرج قدامة بن جعفر ، (ت ٣٢٩هـ)، الخراج وصناعة الكتابة ، تحقيق محمد الزبيدي ، بغداد ١٩٨١ .

٣٦- القلقشندي ، أحمد بن علي ، (٨٢ هـ - ١٤١٨م) ، صبح الاعشى في صناعة الأنشا ، النهضة المصرية .

٣٧- ابن كثير ، الحافظ بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) ، البداية والنهاية ، طبعة ثانية ، بيروت ١٩٧٧ .

٣٨- مجهول ، أخبار الدولة العباسية وفيه أخبار العباس وولده : تحقيق عبد العزيز الدوري ، وعبد الجبار المطلبي ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٧١ .

٣٩- مجهول ، العيون والحدائق ، الجزء الثالث ، مكتبة المثنى ، بغداد .

٤٠- المسعودي ، علي بن الحسين (ت ٣٤٦ هـ)

- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد عبد الحميد ، دار الفكر ، طبعة خامسة ، ١٩٧٣ .

- التنبيه والاشراف ، دار التراث ، بيروت ، ١٩٦٨ .

٤١- ابن مسكويه ، أحمد بن محمد بن يعقوب ، تجارب الأمم ، الجزء السادس ، مكتبة المثنى ، بغداد .

٤٢- ابن المعتز ، طبقات الشعراء ، دار المعارف ، مصر .

٤٣- ابن النديم ، محمد بن اسحق ، الفهرست ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٦٨ .

٤٤- النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (٦٧٧ - ٧٣٣هـ) ، نهاية الأرب في فنون الأدب، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥

٤٥- الهندي ، أحمد حسين بها درخان ، تاريخ الأحمدي ، تحقيق محمد سعيد ، بيروت، ١٩٨٨ .

٤٦- اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح ، تاريخ اليعقوبي ، دار صادر - بيروت ، ١٩٦٠ .

المراجع العربية والأجنبية المترجمة :

١ - أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، طبعة خامسة ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

٢ - أحمد صفوت ، جمهرة رسائل العرب في العصور الزاهرة ، طبعة ثانية ، مصر ، ١٩٧١ .

٣ - جرجي زيدان ، تاريخ التمرن الإسلامي ، مكتبة الحياة ، بيروت .

٤ - حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، النهضة المصرية، ١٩٦٤ .

٥ - حسين عطوان

- الدعوة العباسية مباديء وأساليب ، دار الجيل ، بيروت .

- الدعوة العباسية تاريخ وتطور ، دار الجيل ، بيروت .

٦ - سميرة الليثي ، جهاد الشيعة في العصر العباسي الأول ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٦ .

٧ - شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي « العصر العباسي الأول » ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٩١ .

٨ - عبد الجبار الجرمود ، هارون الرشيد ، بيروت ، ١٩٥٦ .

٩ - عبد العزيز الدوري

- النظم الإسلامية ، طبعة أولى ، بغداد ، ١٩٥٠ .

- العصر العباسي الأول ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٨٨ .

١٠- عرنوس ، محمود بن محمد، تاريخ القضاء في الإسلام ، القاهرة ، ١٩٣٤ .

١١- فاروق عمر، العباسيون الأوائل « الجزء الثاني» ، طبعة أولى ، بغداد ، ١٩٧٣ .

١٢- فلوتن فان ، السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية ، ترجمة حسن إبراهيم ، طبعة أولى ، مصر ، ١٩٣٤ .

١٣- كارل بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، ترجمة عبد الحليم النجار ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٧٧.

١٤- لسترانج غي ، بغداد في عهد الخلافة العباسية ، ترجمة بشير يوسف فرنسيس ، طبعة أولى ، بغداد ، ١٩٣٦ .

١٥- مرتضى المطهري ، الإسلام وإيران ، ترجمة محمد هادي ، بيروت ، ١٤٠٠ هـ .

١٦- مصطفى منير أدهم ، رحلة الإمام الشافعي إلى مصر ، مصر ، ١٩٢٨ .

المراجع الأجنبية :

1 - B. Lewis, Abbasids, E. I^2, vol, 1

2 - EN, Britannica, Abbasids, Part, I, Vol. 1

3 - IRA. M, Lapidus, History of islamic Socities, cambridge University Press, 1991.

4 - Lewis Bernard, The Arabs in History, 3rd Edition, Hutchinson's University Libary, London, 1056.

5 - Osman Sid - Ahmned Ismail Al - Bili, A tale of Two Citics And The Abbasid Caliphate 132 - 656/750 - 1258, Bulletin of the Faculty of Humanities and Social Sciences, Vol 17, 1994 University of Qatar.

6 - Patton Waltr. M. Ahmed the Mihna Leiden. 1897.